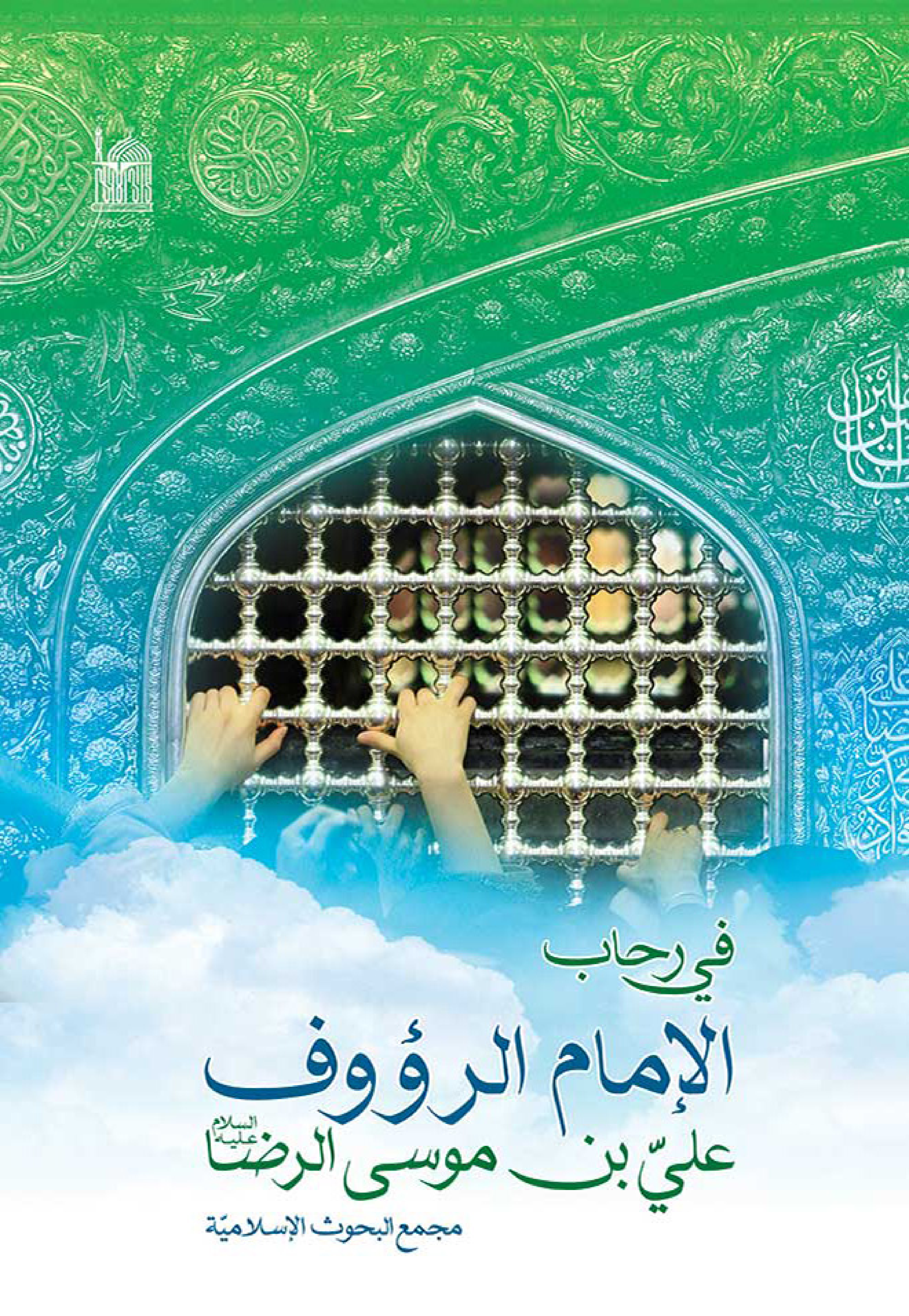

في رحاب
الإمام الرؤوف
عليّ بن موسى الرضا عليه السلام
مجمع البحوث الإسلاميّة



في رحاب

الإمام الرؤوف

عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام

مجمع البحوث الاسلاميه

كلمة الناشر

يتشرّف مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة بتقديم هذا الأثر إلى الإخوة القرّاء العرب، و هو دائرٌ حول زيارة الإمام الرؤوف والمولى العطوف عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه، مسبوقةً بمقدّمات ضروريّة نافعة، مِن قَبيل التعرّف علىٰ لمحاتٍ أو بعض جوانب من سيرة هذا الإمام الهمام، و آداب الزيارة، و مظاهر البناء الشامخ للحرم الرضويّ الطاهر من جميع أجنحته وجهاته، لِيُختَم الكتاب بقصيدةٍ شائقة إلىٰ هذه الرحاب النيّرة الزاكية، و لوامع نوراتيةٍ من كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

نرجو أن يكون هذا الكتاب ـ علىٰ صغر حجمه ـ قد حَظِيَ بتلبية رغبات الزائرين الأعزّاء، فنال رضاهم، و وقع عندهم موقع الانتفاع والعمل، لِجَنْي ثمارٍ معنويّة مباركة من خلال التشرّف بزيارة وليّ الله الإمام الرضا عليه السلام.

و لا يفوتنا هنا أن نشكر الجهود التي سَعَت في تأليف هذا الكتاب وإكماله و مراجعته، و إخراجه إلىٰ نور المطالعة والتطبيق.. والله

٣وليّ الإكرام.

و آخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين، وأزكى الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المصطفى الهادي الأمين، و علىٰ آله الهداة الميامين.

مجمع البحوث الإسلاميّة

مقدّمة

قال الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

«إنّ بين جبلَي طوس قبضةً من الجنّة، من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار».[1]

جبلا طوس هما هذان الجبلان الحافّان بمدينة مشهد الحالية.. حيث تتلألأ في قلبها قبّة الإمام الرؤوف أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه. و قد دلّنا رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ في حديث له ـ على المزار القدسيّ لحفيده الرضا، و دعانا إلى زيارته والإلمام به، إذ هو مهوى أفئدة المؤمنين الموحّدين، و معراج التألّق والصعود إلى المعاني العُلويّة المقدّسة، و باب الوصول إلى الله تبارك و تعالى في طمأنينة و أمان. يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ستُدفَن بَضعة منّي بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلّا أوجب الله له الجنّة، و حرّم جسده على النار».[2]

---

١. **من لا يحضره *الفقيه*** ٢: ٣٤٩.　　٢. نفسه ٢: ٣٥١.

والإمام الرضا عليه السلام شمس ساطعة أبداً لا يأفل نورها في ليل ولا نهار، وضياء رحمة و رأفة تتهادى دوماً لتملأ القلوب بالإيمان واليقين، ولُتنوِّر حياتنا بالخير والسلامة والرضوان. و لا عجب أن يكون مدفن جسده الشريف في إقليم اسمه «خُراسان». و لفظة «خراسان» في اللغة الفارسيّة القديمة تعني: بلد الشمس، أو مطلع الشمس. وها هي مدينة مشهد ـ حيث شمس المزار القدسيّ الرضويّ المبارك ـ تتربّع في جهة المشرق بالقياس إلى أغلب بلدان المسلمين، ليؤمّها ملايين الزائرين من قارّات العالم الخمس، ويزوروا هذه البضعة الكريمة من ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

و قد دخلت الأرض التي فيها مزاره التاريخَ من أوسع الأبواب، بعد أن لم تكن آنذاك غير ريف زراعيّ يُسمّى «سَنا آباد»، أي: ريف الرِّفعة والضياء، أو ريف النور. و مرّةً أخرى فإنّ هذه التسمية لم تكن تسمية غير مقصودة، ذلك أنّ هذه الأرض كانت تستعدّ ـ حتّى في اسمها ـ لاستقبال النور الرضويّ المتألّق الذي يشدّ الأرض إلى أنوار العرش الإلهيّ في عالم الملكوت.

و حول البقعة الرضويّة المباركة نشأت ـ عبر التاريخ ـ مدينة واسعة كبيرة نُسِبَت إليه صلوات الله عليه، فسُمِّيت «مشهد الرضا»، ويقال لها اختصاراً «مدينة مشهد»، أو «مشهد». و لفظة «مشهد» كما تعني مكان الشهادة و الاستشهاد، تعني أيضاً مكان الشهود، أي شهود القلب أنوارَ حقائق عالم الملكوت.

و ليس من المصادفة أبداً أن تكون هذه المدينة التي يتلألأ في قلبها

مزار الإمام الثامن من أئـمّة أهـل البـيت.. هـي ثـامنة مـدن العـالم الإسلاميّ من حيث الارتفاع عن مستوى سطح البحر، كما تحقّق ذلك المصادر المَعنيّة بجغرافية المدن الإسلاميّة.

* * *

و هذا الكتاب الصغير نقدّمه اليوم للزائر العزيز خطوةً مـيسّرة فـي التعريف بقطرة من بحر مولانا الرضا صلوات الله عليه، الذي قَصَدْنا رحابه القـدسيّة زائـرين، فـهو المَـزُور فـي هـذه الرحـلة الزيـارتيّة المباركة. و لاريب أنّ مَن زاره و زار آباءه وأبـناءه الطـاهرين فـهو كمَن زار الله في عرشه، كما قالت أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

و تمضي هذه الخطوة قُدُماً لتعرِّف أيضاً ـ و على نحوٍ إجماليّ ـ بهذه الزيارة الرضويّة و آدابها و آفاقٍ من بركاتها. ثمّ يُختَم الكتاب برسم صورة عامّة لهذا المزار الرضويّ النورانيّ و ما يضمّ من أماكن ومعالم استمدّت قدسيّتها من قدسيّة الإمام المَزور سلام الله عليه.

نرجو لكم ـ أيّها الزائرون الكرام ـ طِيبَ الإقامة و أنـتم فـي ضـيافة الإمام الضامن صلوات الله عليه، و دوام السلامة في الحِلّ و التَّرحال.

الإمـام المَـزُور

لمحة عن حياة الإمام الرضا عليه السلام

نوّر الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ثامن أئمّة أهل البيت العالَمَ بنور وجوده في الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٤٨ هـ، في المدينة المنوّرة.
اسمه الكريم: عليّ، و كُنيته المعروفة: أبو الحسن، وألقابه المشهورة: الرضا، و الصابر، و الوفيّ، و الرضيّ، و الزكيّ، و الضامن، و المرتضى، والصدِّيق، و الشهيد، وثامن الحُجَج، و غريب الغرباء، ومُعين الضعفاء، وشمس الشموس، وأنيس النفوس. بَيْد أنّ «الرضا» أشهر هذه الألقاب؛ فإنّ رضا الله تعالى في رضاه.

أبوه و أمّه

أبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سابع أئمّة أهل البيت عليهم السلام. و أمّه الجليلة سيدة كريمة تدعى «تُكْتَم» و «نجمة» أيضاً. و حينما رزقها الله ولدها عليّ بن موسى عليه السلام، سَمَّوها «الطاهرة».

زوجته

تزوّج الرضا عليه السلام سيّدة نقيّة الجيب تسمّى «سَبيكة».
أنجبت له ابناً، سمّاه محمّداً، و لقّبه بالجواد، و هو تاسع الأئمّة الهداة المعصومين.

إمامته

بدأت إمامة الإمام عليّ الرضا عليه السلام عام ١٨٣ ﻫ، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف، بعد شهادة أبيه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام . ودامت إمامته عشرين عاماً، و كما كان قد أخبر هو بنفسه، فلم يرجع إلى وطنه قطّ، منذ أن أشخصه المأمون. و استشهد مظلوماً في بلاد بعيدة عن موطنه و أهله عام ٢٠٣ ﻫ، و هو في الخامسة والخمسين من عمره، و تشرّفت أرض طوس بأن تكون مثوىً لجسده الطاهر المقدّس.

إمامة الإمام الرضا عليه السلام

روى جابر بن عبدالله الأنصاريّ الذي كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «دخلتُ على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لأهنّئها بمولد الحسين عليه السلام، فاذا بيديها صحيفة بيضاء من درّة.
فقلت لها: يا سيّدة النساء، ما هي الصحيفة التي أراها معك؟
قالت: فيها أسماء الأئمّة من ولدي.
قلت لها: ناوليني لأنظر فيها.
قالت: يا جابر، لولا النهي لَكنتُ أفعل، لكنّه قد نُهي أن يمسّها إلّا

نبيّ أو وصيّ نبيّ أو أهل بيت نبيّ، ولكنّه مأذون لك أن تـنظـر إلى باطنهـا من ظاهرهـا.

قال جابـر: فإذا أبو القاسم محمّـد بن عبد الله المصطفى، أمّه آمنـة... أبو القاسم محمّد بن الحسن، هو حجّـة الله القائم، أمّه جارية اسمها نرجس، صلوات الله عليهم أجمعين».[1]

بعد ذلك بسط جابر بمحضر الباقر عليه السلام تفاصيل ما رآه في اللوح أو الصحيفة.[2]

إنّ أحاديث كهذه ورد فيها اسم عليّ بن موسى عليه السلام في عِـداد الأئـمّة المعصومين وصرّحت بإمامته، لَهي كثيرة جدّاً في مصادر الحـديث والنصوص الروائيّة.[3]

و روي في كتاب «الغَيبة» للشيخ الطوسيّ عن جـابر الجُـعفيّ، قـال: «سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن تأويل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **إنّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِندَ اللهِ اثنا عَشَرَ شَهراً** ﴾.[4]

قال: فتنفّس سيّدي الصُّعَداء، ثمّ قال: يا جابر... أمير المؤمنين... وإلى ابنه محمّد الهادي المهديّ ...».[5]

واللافت للنظر أنّه ذكر الإمام عليّ بن موسى عليه السلام في هذا الحـديث

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ١: ٤، و يُلاحَظ اسم الإمام عـليّ بـن مـوسى عليه السلام فـي هـذا الحديث مقروناً بلقب الرضا.

٢. جاء متن الصحيفة في «*عيون أخبار الرضا*» ١: ٤٢ تحت عنوان (خبر اللوح).

٣. انظر: *بحار الأنوار* ٣٦: ٢٣٤ و ٢٥٢ ـ ٢٨٣.

٤. التوبة: ٣٦.

٥. *الغيبة* ١٤٩ / ح ١١٠.

بلقب «الرضـا» أيضاً.

و عن داود الرقّيّ قال: قلتُ لأبي إبراهيم ـ يعني موسى الكـاظم عليه‌السلام: فداك أبي، إنّي قد كَبِرتُ وخِفتُ أن يَحدُث بي حَدَث ولا ألقاك، فأخبِرني مَن الإمام مِن بعدك؟ فقال: «ابني عليّ».[1]

وقد نقل العلّامة المجلسيّ عليه‌السلام في باب «النصوص على الخصوص عليه صلوات الله عليه» ثماني وأربعين رواية ورد في (٤٤) منها أنّ الامام الكاظم عليه‌السلام عرّف ابنه عليّ بن موسى الرضا عليه‌السلام بأنّه وصيّه و وارثه من بعده[2]، و جاءت الروايات الأربع الأخرى إنباءً بإمامته عن جدّه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام.

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه‌السلام ١: ٢٣.

٢. لاحظ : ***بحار الأنوار*** ٤٩: ١١ ـ ٢٨.

من الآفـاق المعنويّـة

إنّ الوجود المقدّس للإمام المعصوم من آل محمّدصلى الله عليه وآله ممّا لا يمكن أن يحيط به الإدراك، أو تنال العقول آفاقه الإلهيّة، ذلك أنّ آل محمّد لا يُقاس بهم أحد من الناس مهما كانت منزلته. و من هنا لا يمكن ـ لدى الحديث عن هذا الأفق المتعالي الممتنع ـ إلّا الإشارة إلى ما ظهر منهم صلوات الله عليهم للناس فرأوه أو سمعوه. و ممّا عُرف عن الإمام الرضاعليه السلام في صلته بالله تعالى و عبادته:

ـ ينام في الليل قليلاً، ويقضي أكثره بالعبادة.[1]

ـ يصوم كثيراً من أيّام السنة، ولا سيّما أوّل كلّ شهر و وسطه وآخره، وكان يقول: «ذلك صوم الدهر».[2]

ـ يسجد سجدات طويلة جدّاً، فإنّه إذا سجد لله تعالى بعد صلاة الصبح، لم يرفع رأسه منها حتّى تطلع الشمس.[3]

---

١. ***بحار الأنوار*** ٤٩: ٩١.

٢. نفسه ٤٩: ٩١.

٣. نفسه ٤٩: ٩٠.

ـ يتلو القرآن كثيراً و كان أنسه به بحيث لا يتكلم إلّا بالقرآن، ويجيب من سأله بالقرآن، و يتمثّل به أيضاً.[١]

ـ حينما يأوي إلى فراشه يلهج بذكر الله و تلاوة القرآن.[٢]

ـ إذا مرّ بآية عند تلاوة القرآن فيها ذكر نار و عذاب، بكى بكاء شديداً، و تعوّذ بالله من النار.[٣]

ـ يهتمّ بالصلاة في أوّل وقتها، و يصلّي قبل الإفطار في الأيّام التي يصومها.[٤]

ـ لا يترك النوافل و صلاة الليل خاصّة، حتّى في السفر، ولمّا يحين الثلث الأخير من الليل، يقوم من فراشه و ذكرُ الله على لسانه، فيستاك ويتوضّأ و يقوم إلى الصلاة. و كان يصلّي صلاة جعفر الطيّار إضافة الى نافلة الليل كلّ ليلة. و يستمرّ على التعقبيات إلى وقت صلاة الصبح، ثمّ يسجد سجدة الشكر عند طلوع الشمس.[٥]

ـ يلهج بذكر الله دائماً.[٦]

ـ يخشى الله كثيراً.[٧]

ـ يأنس بمناجاة الله في غير الصلاة أيضاً.[٨]

ـ يشتغل بالصلاة في كثير من الأوقات.[٩]

---

١. *بحار الأنوار* ٤٩: ٩٠.

٢. نفسه ٤٩: ٩٤.

٣. نفسه.

٤. نفسه.

٥. نفسه ٤٩: ٩٣.

٦. نفسه ٤: ٩١، ٩٢، ٩٨.

٧. نفسه.

٨. نفسه.

٩. نفسه ٤: ٩١.

انتدب المأمونُ رجاءَ بن أبي الضحّاك لإشخاص الإمام مـن المـدينة إلى «مَرْو»، وأمره الحاكم العبّاسيّ أن يرافقه بالليل و النهار طـوال الرحلة، فقال رجاء في نهاية المطاف: فواللّهِ ما رأيتُ رجلاً أتقى لله تعالى منه، ولا أكثرَ ذكراً لله في جميع أوقاته منه، ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ منه.[١]

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ١٨٠.

من الآفـاق الأخلاقيّـة

لازَمَ إبراهيمُ بن العبّاس الإمامَ الرضا عليه السلام مـدّة طـويلة، و نَـهَل مـن نـميره العـذب، فـقال عـن نـهج الإمـام عليه السلام: مـا رأيتُ أبـا الحسـن الرضـا عليه السلام جفـا أحداً بكلمة قطّ، و لا رأيته قطع على أحـد كـلامه حتّى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجةٍ يَقدِر عليها، ولا مَدّ رِجله بين يَدَي جليس له قطّ، و لا اتّكأ بين يَدَي جليس له قطّ، ولا رأيته شتم أحداً من مَواليه ومماليكه قطّ، ولا رأيته تفل، ولا رأيته يُقَهقِه في ضحكه قطّ.[1]

و وصف ابن أبي عبّاد وزير المأمون أسلوب حياة الإمام عليه السلام بقوله: كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير وفي الشتاء على مِسْح، ولبسه الغليظ من الثياب، حتّى إذا برز للناس تزيّن لهم.[2]

و عن ياسر الخادم، قال: كان الرضا عليه السلام إذا خلا جـمع حشـمه كـلّهم عنده الصغير والكبير، فيحدّثهم و يأنس بهم و يؤنسهم. و كان عليه

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ١٨٤.   ٢. نفسه ٢: ١٧٨.

السلام إذا جلس على المائدة لا يَدَعُ صغيراً ولا كبيراً ـ حتّى السائس و الحجّام ـ إلّا أقعده معه على مائدته.[١]

و تحدّث نادر الخادم عن لمحة من مُلاطَفة الإمام له، فقال: كان أبو الحسن عليه السلام يضع جَوزينجة[٢] على الأخرى و يُناولني.[٣]

صور من الخُلق العظيـم

ـ يرعى الفقـراء كثيـراً.

ـ كثيراً ما يبادر إلى التصدّق، ولا سيّما في الليالي الحالكة وفي الخفاء.

ـ يجلس إلى المائدة مع مواليه، و يأكل معهم.

ـ لا يميّز بين المماليك و الأشراف، ولا بـين الأقـرباء و الغـرباء، إلّا بالتقوى.

ـ كثير الابتسام و طلق المُحيّا دائماً .

ـ يقسّم أفضل طعامه للجائعين قبل التناول.

ـ يجالـس الفقـراء.

ـ يشترك في تشييع الجنائز.

ـ لا يدعو الغلام إلى إنجاز عمل له مادام الغلام يتناول طعامه.

ـ لا يضحك عالياً و لا يقهقه أبداً.

ـ يقدّم قضاء حوائج المؤمنين وحلّ مشاكلهم على سائر الأعمال.

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ١٥٩.

٢. الجوزينجة: نوع من الحلوى يُعمل من الجوز.

٣. ***الكافي*** ٦: ٢٩٨ / الحديث ١٢.

ـ يجلس على الحصير.

ـ يتلو القرآن كثيراً .

ـ لا يكسر قلب أحد بكلامه.

ـ لا يقطع كلام أحد أبداً.

ـ لا يردّ طالب حاجة و هو يقدر عليها.

ـ لا يمدّ رِجله بين يدي جلسائه.

ـ لا يعتمد على جدار ولا يتّكئ على وسادة بين يَدَي جلسائه.

ـ لسانه لا يَفتُر عن ذكر الله عزّ و جلّ.

ـ يحترز من الإسراف.

ـ يزوّد المسافر الذي نفد مالُه أو ضاع دون أن ينظر إليه، لئلّا يرى ذلّ السؤال في عينيه.

ـ يثابر على إفطار الصائمين.

ـ يعود المرضى.

ـ يَقْري الضيف بنفسه.

ـ لا يأذن لأحد و هو جالس إلى المائدة في القيام إجلالاً له.

ـ يصغي بإمعان الى كلام مَن يخاطبه و يسأله.

ـ يتطيّب بالعطر للصلاة خاصّة.

ـ يغسل يديه قبل الأكل و يجفّفهما، و يغسلهما بعد الأكل أيضاً، ثمّ يجفّفهما بمنديل.

ـ إذا حضر طعام كثير، لا يسكب مازاد منه و لا يرميه أبداً.

ـ لا يأكل شيئاً وحده بين يَدَي جلسائه.

ـ حليم في غاية الحلـم.

ـ يزيد في عطاء الأجير الذي يستأجره بأجر معيّن عند انتهاء عمله.

ـ يُقبِل على الجميع بحنـان و بِشر.

ـ كان يتفضّل على الفقراء و المحتاجين كثيراً.[1]

و لا ريب أنّ ما ذُكر ليس إلّا غيضاً من فيض، و قطـرة من بحـر خُلق الإمام الرضـا عليه السلام.

---

١. يُنظر: ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ١٨٤، ١٧٨.

من الآفـاق العلميّـة

الإمام الثامن عليه السلام كآبائه الأزكياء ذو علم شـامل لايـنفد حـتّى لُـقّب بلقب «عالِم آل محمّد» صلى الله عليه وآله.

روى أبو الصلت عن محمّد بن إسحاق بن موسى بن جعفر أنّ موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: «هذا أخوكم عليّ بن موسى الرضا عالم آل محمّد، فسَلُوه عن أديانكم، واحفَظوا ما يقول لكم؛ فإنّي سمعت أبي جعفرَ بن محمّد غيرَ مرّة يقول لي : إنّ عالِم آل محمّد لَفي صُلبك وليتني أدركتُه، فإنّه سَميُّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام».[1]

و يروي محمّد بن يحيى الصُّوليّ، عن ابن ذَكوان قال: سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول: ما رأيتُ الرضا عليه السلام سُئل عن شيء قطّ إلّا عَلِمَه، و لا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته و عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه. و كان كلامه كلّه و جوابه

---

١. *إعلام الورى* ٢: ٥٤؛ *إثبات الهداة* ٦: ٢٨.

و تمثّله انتزاعات من القرآن.[1]

مناظـرات الإمـام عليه السلام

دعت السلطة العباسية، لمآرب خـاصة، عـلماءَ المـذاهب و الفـرق المختلفة، و جعلتهم فـي مـجابهة الإمـام عليه السلام، عسـى أن يـعجز فـي المناظرة عن الإجابة مرّة واحدة. و مهما كان هدف المأمون، فـإنّ نتائج هذه المناظرات أصبحت سبباً لظهور عـظمة الإمـام و إثـبات إمامته.

عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهرويّ ـ الذي كان حاضراً في أكثر الجلسات و المناظرات ـ قال: ما رأيتُ أعلمَ من عليّ بن موسى الرضـا عليه السلام، و لا رآه عـالم إلّا شـهد له بـمثل شـهادتي. ولقـد جـمع المأمون في مجالس له ذوات عدد، علماءَ الأديان وفـقهاء الشـريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتّى ما بقي أحد منهم إلّا أقـرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور.[2]

دراية الإمام عليه السلام بالأديان و المذاهب

كان الإمام عليه السلام يحتجّ على أهل التوراة بتوراتهم، و على أهل الإنجيل بإنجيلهم، و على أهل الزَّبور بزبورهم، و كان يتكلّم مـع كـلّ فـرقة وجماعة حسب عقائدهم.[3]

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢ : ١٨٠. ٢. *إعلام الورى* ٢: ٥٤.
٣. *الاحتجاج* ٢: ٤١٦.

إحاطة الإمام عليه السلام باللغات المختلفة

عن أبي الصلت الهرويّ، قال:

كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم، وكان واللهِ أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة .

ثمّ أضاف أبوالصلت قائلاً: فقلت له يوماً : يابن رسول الله، إنّي لَأعجَب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها !

فقال: «يا أبا الصلت، أنا حجّة الله على خلقه، و ما كان الله ليتّخذ حجّةً على قوم و هو لا يعرف لغاتهم، أوَ ما بَلَغَك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام: أُوتِينا فصلَ الخطاب؟ فهل فَصلُ الخطاب إلّا معرفة اللغات»؟[1]

خيبة المأمون في عقده المجالس العلميّة

أصرّ المأمون على عقد المجالس العلميّة و مناظرة العلماء للإمام، ثمّ ندم ندماً شديداً على ذلك، إذ كان هدفه في البداية الإزراء بالإمام وبشخصيّته العلميّة، وإلهاء المجتمع بهذه المجالس، و صرف الناس عن القضايا السياسيّة، فندم على ذلك ندماً شديداً ، لأنّه أخفق في الوصول إلى هذه الأهداف، حتى اعتبر المؤرّخون بعض هذه الوقائع سبباً في شهادة الإمام عليه السلام .[2]

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ٢٨٨.

٢. عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، قال: سألت أبا الصلت الهرويّ، فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبّته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟ فقال:

من الحياة السياسيّة

لقد عاصر الإمام الرضا عليه السلام خـلال مـدّة امـامته بـعض حكـام بـني العبّاس، كان أوّلهم هارون. و لكنّ هارون هذا لم يتعرّض للإمام عليه السلام؛ لأن الأزمات كانت تعصف بدولته .

هارون و هاجس المستقبل

كان هارون في السنوات الأخيرة من عمره يؤرّقه التفكير في دولة العبّاسيين وفي مستقبلها، ولهذا عيّن ابنه محمّد الأمين الذي لم يبلغ الخامسة من عمره حاكماً من بعده، و ذلك عام ١٧٥ ه[1].

وبعد سبع سنوات ـ أي عام ١٨٢ هـ ـ سعى إلى إرساء دعائم دولة بني

إنّ المأمون إنّما كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده، ليُري الناس أنّه راغب في الدنيا، فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلّاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلّمين من البـلدان... (*عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ٢٣٩).

١. *البداية و النهاية* ١٠: ١٦٥.

العبّاس بتعيين ولده الآخر عبدالله المأمون خلفاً للأمين. و في عام ١٨٦ هـ صَحِب أبناءه الأمين و المأمون و المؤتمن إلى مكّة، وأمر بأن يُقرأ نصّ العهد على الحاضرين في الموسم، حتّى يشيع أمر ولاية الأمين و المأمون.[١]

موت هارون و تبعات موته

و أخيراً مات هارون عام ١٩٣ هـ، في طوس، وسرعان ما نشب النزاع بين الأخوين على السلطة، حتّى اضطرمت الحرب بينهما، وقُتل الأمين في بغداد بأيدي رجال المأمون.

المأمون و مصاعب الحكم

لم يستطع المأمون أن يأخذ البيعة لنفسه من أهل بغداد والكوفة، كما أنّه ما حظي برضا أهل المدينة و مكّة و البصرة أيضاً.

والصعوبة الثانية التي واجهها المأمون هي الاضطرابات التي وقعت في أقطار البلاد الإسلاميّة و آفاقها، ولا سيّما بعض الثورات ذات التأثير والشمول.

والصعوبة الثالثة الكبيرة التي أقلقت المأمون هي الشخصيّة العَلَويّة الوجيهة المتميزة، أي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، و لذلك فكّر

١. *تاريخ الطبريّ* ٦: ٤٨١.

المأمون في حلّ المشاكل دفعة واحدة بخطّة جديدة.
كانت خطّة المأمون معقّدة تقتضي نفي الإمام عليّ بن موسى عليه السلام من محطّ أنظار العالم الإسلاميّ، أي مدينة الرسول. و قد نفّذ خطّته بشتّى الوسائل.

من المدينـة إلى «مَـرْو»

بعد أن اعتلى المأمون كرسيّ الحكم بعث كتاباً إلى الإمام الرضا عليه السلام، استدعاه فيه إلى خراسان، فامتنع الإمام من الذهاب، إلّا أنّ المامون أصرّ على ذلك، و أرسل إليه الكتب تَترى لكي يُعلِمه أنـه لا يكفّ عنه.[1]
و بعث المأمون إثر الكتب المتواترة رسولين إلى المدينة، هما رجاء بن أبي الضحّاك[2] و ياسر الخادم،[3] فدخلا على الإمام عليه السلام فور وصولهما إلى المدينة، وبيّنا له فحوى مهمّتهما بالقول: إنّ المأمون أمرنا بإشخاصك إلى خراسان.[4]
و كان الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام على دراية بنهج المتسلّطين، ويتذكّر سجن أبيه الكاظم عليه السلام مدّة طويلة، ويعلم أنّ المأمون الذي لم يتورّع عن قتل أخيه، كان لا يقرّ له قرار مادام الإمام طليقاً بين الناس.

---

١. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ١٤٩.
٢. كان من عمّال بني العبّاس، و أنيطت به ولاية الخراج في عهد المأمون.
٣. كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام كما قال الشيخ الطوسيّ. انظر: ***تنقيح المقال*** ٣: ٣٠٧.
٤. ***الكافي***، ٢: ٤٠٧.

تأهّب الإمام الرضا عليه السلام للرحلة و هو كارِه لها، و كان مستيقناً أ نّه لن يعود من هذه الرحلة إلى المدينة بعدها.[١]

وداع قبر النبيّ صلى الله عليه وآله

قبل رحيله الإجباريّ إلى خراسان، ذهب الإمام الرضا عليه السلام إلى مرقد جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله مراراً، و أبدى ـ و هو يودّع المرقد النبويّ ـ كراهته لهذه الرحلة، لكي يعلم الناس أنّه مجبر على الرحيل إلى «مرو».

وحينما همّ الإمام عليه السلام بالخروج من المدينة، دعا جميع أهله وأمرهم بالبكاء عليه؛ لأنّه لن يرجع إلى المدينة.[٢]

الخطوة الأولى و العرض الأوّل

لم يَستَدعِ المأمونُ الامامَ عليّ الرضا عليه السلام لسفر زيارة أو سياحة، وإنّما كان يرمي من استدعاء الإمام لهذه الرحلة الطويلة الشاقّة إلى أمرٍ ما، ممّا جعل كثيراً من آل النبيّ صلى الله عليه وآله يترقّب معرفته بقلق.

بَيْد أن دخول الإمام مرو واحتفاء المأمون به والسماح للناس بزيارته كان مفاجئاً.

و أخيراً خطا المأمون أثناء أحد لقاءاته بالإمام خطوته الأساسيّة نحو هدفه المستور، ممّا أدهش كثيراً ممّن سمعوه .

قال المأمون: يابن رسول الله، جئتُ إليك لأطلب منك أن تقبل

---

١. نفسه .

٢. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ٢١٧.

الخلافة، و تكون حاكم الأمّة الإسلاميّة.[١]

و أبى الإمام ذلك، و كرّر المأمون طلبه عدّة مرّات، إلّا أنّه لم يحصل منه على ما يريد.

عرض الحكومة سيفٌ ذو حـدَّين

كان عرض المأمون الخلافة سيفاً ذا حدّين، سواء قَبِلها الإمام أو لم يَقبَل؛ فإنَّ قبول رضا آل محمّد صلى الله عليه وآله الخلافة من المأمون فيه إزراء بالإمام؛ لأنّ إعلام السلطة سوف يشيع أنّ الرضا إنّما كان زاهداً في الحكم لأ نّه لم يَنَله، لكنّه لمّا انفتح له باب الحكم دخله و أنِس به. إضافة إلى ما في ذلك من مكسب للمأمون و للعباسيّين الذين سيقال إنّهم قد أعادوا الخلافة إلى ولد عليّ عليه السلام.

أمّا إذا لم يقبل الإمام الخلافة، فإنّ المأمون يزداد اقتراباً من هدفه ويشعر بالنجاح؛ لأنّه يستطيع أن يقول للعلويّين وأشياعهم: إنّني أعلنت استعدادي لتفويض الحكومة الى عليّ بن موسى، لكنّه لم يرغب فيها!

عن أبي الصلت الهرويّ، قال: إنّ المأمون قال للرضا عليه السلام: يابن رسول الله، قد عرفتُ علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال الرضا عليه السلام: «بالعبوديّة لله عزّ وجلّ أفتخر، و بالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز

---

١. نفسه ٢: ١٤٩.

بالمغانم، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجلّ».

طال الحديث بين الإمام عليه السلام و المأمون كثيراً في هذا دون الوصول إلى نتيجة، و عندها أجاب الإمامُ المأمون بصرامة جواباً صريحاً نادراً من نوعه.

قال الإمام عليه السلام: «إن كانت هذه الخلافة لك واللهُ جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبَسَكَهُ الله و تجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك».

فقال له المأمون: يا بن رسول الله، فلا بُدّ لك من قبول هذا الأمر!

فقال عليه السلام: «لستُ أفعل ذلك طائعاً أبداً ».

قال له: فإن لم تقبل الخلافة، و لم تحبّ مبايعتي لك، فكن وليّ عهدي، وتكون لك الخلافة بعدي .

فقال الرضا عليه السلام: «و اللهِ لقد حدّثني أبي عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أ نّي أخرُج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسمّ مظلوماً ، تبكي عليّ ملائكة السماء و ملائكة الأرض، و أُدفَن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد».

عندها بكى المأمون ثمّ قال له: يا بن رسول الله، ومَن الذي يقتلك أو يَقدِر على الإساءة إليك و أنا حيّ ؟ !

فقال الرضا عليه السلام: «أما إنّي لو أشاء أن أقول لقلتُ مَن الذي يقتلني»!

فقال المأمون: يابن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنّك زاهد في الدنيا!

فقال الرضا عليه السلام : «و الله ما كَذَبتُ منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ، و ما

زَهِدتُ في الدنيا للدنيا، وإنّي لَأعلم ما تريد ».

فغضب المأمون ثمّ قال: فباللهِ أقسم، لئن قَبِلتَ ولاية العهد وإلّا أجبرتك على ذلك، فإن فعلتَ وإلّا ضربتُ عنقك![1]

أهداف المأمون من فرض ولاية العهد

إنّ إصرار المأمون على فرض ولاية العهد على الإمام ـ رغم استياء الكثير من رجال بني العبّاس من هذا الصنيع ـ يدلّ على أنّه يتوخّى بهذا العمل أهدافاً خطيرة .

و ما يمكن أن يُستشَفّ من القرائن و الوثائق التاريخيّة نوجزه فيما يلي:

أ ـ تخفيف معارضة العلويّين للعبّاسيّين .

ب ـ إخماد الثورات التي كانت تشتعل في بقاع شتّى.

ج ـ مراقبة الإمام و التضييق عليه.

د ـ تشويه قداسة الإمام عليه السلام عن طريق إدخاله في الحكومة.

هـ ـ إضفاء الصبغة الشرعيّة على حكم المأمون.

و ـ حصول المأمون على قاعدة شعبيّة.

الإمام عليه السلام و الخيار الصعب

واجه الإمام عليّ بن موسى عليه السلام و هو الإمام الإلهيّ الوارث لرسول الله صلى الله عليه وآله اختياراً حرجاً، و كان لابدّ أن يختار طريقاً.

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ١٣٩ ـ ١٤٠.

إنّ عقد الإمام الحسن الصلحَ مع معاوية و قبول الرضا ولاية عهد المأمون أشقُّ على آل رسول الله ﷺ من الاستشهاد و تحمّل السجن مدّة طويلة، و هم المشتاقون دوماً إلى لقاء الله، ولكنّ لله أمراً هو بالغه. وهكذا تجرّع الإمامعليه السلام مرارة كأس ولاية العهد، رغم أنّه كان يعلم علم اليقين بأنّه سرعان ما يُستَشهَد ويقضي نحبه قبل المأمون.

و قد قال الإمام الرضاعليه السلام بعد هذه الحادثة: «اللّهمّ إنّك تعلم أنّي مُكرَه مُضطرّ، فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيّك يوسف حين وَقَع إلى ولاية مصر».[1]

ولم يقتصر جهر الإمام عليه السلام بهذا الأمر على الدعاء و المناجاة فحسب، بل تخطّاه إلى التوضيح و التنويه من خلال أقوال مختلفة في مناسبات عديدة أيضاً.

عن محمّد بن عرفة قال: قلتُ للرضا عليه السلام: يابن رسول الله، ما حَمَلَك على الدخول في ولاية العهد؟

فقال: «ما حَمَل جدّي أمير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى»[2] أي كما أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قد دخل في الشورى مجبراً، فأنا أيضاً كنت مُجبراً على قبول هذه الولاية.

---

١. *بحار الأنوار* ٤٩: ١٣٠؛ *مسند الإمام الرضا*عليه السلام ١: ٤٩.

٢. *عيون أخبار الرضا*عليه السلام ٢: ١٤٠؛ *بحار الأنوار*، ٤٩: ١٤.

تدبير الإمام عليه السلام تجاه الدسائس

و رغم هذا القـبول الظـاهريّ لم يألُ الإمـام جـهداً قـطّ فـي اتّـخاذ التدابير اللازمة لمجابهة غاصبي الخلافة جهراً.

و لا ريب أن المأمون قد كتب عهداً، و أقام مجلساً، و أخذ البيعة من الناس، و استبدل اللباس الأخضر بلباس العباسيّين الأسـود[1] تـضامناً ظاهريّاً، كما ضرب الدراهم باسم الإمام الرضا عليه السلام، و كتب بذلك إلى الآفاق.[2] بيد أنّ للإمام عليه السلام خططاً أيضاً لا يطيق تحمّلها المأمون، إذ سخّر جميع ما بذله في التـأكـيد عـلى عـظمة أهـل البـيت ومـهانة العبّاسيين. و من هذه الخطط :

١ ـ تعليمات الإمام العامّة و نـصائحه للشـيعة و المـرتبطين بأهـل البيت عليه السلام في مجال القضايا العقائديّة والسياسيّة.

٢ ـ تأكيد نهج الحياة السياسيّة و الدينيّة للأئمّة السابقين و دوام ذلك النهج.

٣ ـ الخروج من المدينة مستاءً، و إبداء القلق لخروجه وحـده دون أهله، وحثّ الأهل على رثائه حين انطلاقه مـن المـدينة إلى مـرو، ووداع مرقد النبيّ صلى الله عليه و آله بنمط خاصّ ينمّ عن تـذمّره و اضـطراره الى قبول طلب المأمون.

٤ ـ حديث الإمام التاريخيّ في نيسابور ـ و هو في طريقه إلى مرو ـ الذي عَدّ إمامة أهل البـيت عليهم السلام ـ ومـنهم الإمـام الرضـا عليه السلام ـ شـرط

---

١. *تاريخ الطبريّ* ٧: ١٣٩.

٢. *الأغاني* ١٠: ٥٢.

التوحيد؛ فلا توحيد واقعيّاً إلّا ما كان منهم و بهم.[١]

٥ ـ رفض عروض المأمون وتحفّظه من قبول الخلافة و ولاية العهد طوال شهرين من المفاوضة، وإصرار المأمون على ذلك.[٢]

٦ ـ إخباره بِقِصَر عمره الشريف، وأ نّه لن يتولّى الحكم بعد المأمون لشهادته مسموماً.

٧ ـ غياب آثار البهجة عن وجهه المقدّس بعد فرض ولاية العهد عليه، و إبداء الغمّ والهمّ في المواقف المناسبة .[٣]

٨ ـ اشتراطه سلفاً لقبول ولاية العهد بأنّ لا يُبدي رأياً في أمور الدولة أبداً، ولا يتدخّل في عزل أحد أو نصبه .[٤]

٩ ـ نمط حياته و سلوكه الاجتماعيّ و علاقاته الشعبيّة طوال مسيرته من المدينة إلى مرو، و بعد قضيّة ولاية العهد، ولفت أنظار الناس إلى علمه و عمله وزهده و معنويّته و أخلاقه.[٥]

---

١. يقول ابن الصبّاغ المالكيّ: لمّا دخل نيسابور... في قبّة مستورة بالسقلاط على بغلة شهباء... و أمر غِلمانه بكشف المظلّة عن القبّة، و أقرّ عيون الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكان له ذُؤابتان على عاتقه، والناسُ كلّهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه وهم بين صارخ وباكٍ، و متمرّغ في التراب، و مُقبِّل لحافر بغلته، وعلا الضجيج. (***الفصول المهمّة*** ٢٥٣).

٢. ***بحار الأنوار*** ٤٩: ١٣٤.

٣. ***عيون أخبار الرضا***عليه السلام ٢: ١٥؛ ***بحار الأنوار*** ٤٩: ١٤.

٤. ***بحار الأنوار*** ٤٩: ١٣٠.

٥. يقول رجاء بن أبي الضحّاك الذي رافقه في طريقه من المدينة إلى مرو: كان لا ينزل بلداً إلّا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم، فيجيبهم ويحدّثهم الكثير عن أبيه عن آبائه عن عليّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله (***عيون اخبار الرضا***عليه السلام، ٢: ٨٠. / الحديث ٥).

١٠ ـ غَلَبتُه العلميّة الفائقة في المناظرات و المـجالس الكـبرى مـع علماء الأديان.

١١ ـ إقامة صلاة العيد على نهج النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله و سنّته، و تأثيرها البالغ في الناس وعمّال دولة المأمون، ممّا سنذكره بعد قليل.

١٢ ـ الاتّصال بالشيعة و تقديم التعليمات اللازمـة إليـهم، و فـضح دسائس المأمون أمامهم.

وأدّت هذه التدابير و العوامل إلى أن يُعرف الإمام بين الناس أكثر فأكثر، خلافاً لما كان يظنّه المأمون، إذ ازدادحبّ الناس له، و بعد فترة من الزمن شعر المأمون بعدم اقتناعه بخدعه السياسيّة، وفكّـر في التضييق على الإمام ومن ثمّ اغتياله.

تجلّي عظمـة الرضـا عليه‌السلام في صلاة العيد

كانت واقعة صلاة العيد امتحاناً كشف ضآلة المأمون وضحالته في أعين الجماهير المحكومة، كما كانت جلاءً لعظمة الإمام الرضا عليه‌السلام وإفصاحاً عن هيمنة سلطنته الإلهـيّة عـلى قـلوب النـاس، وإظـهاراً لتأثيره النافذ عليهم ... فانقادوا ـ بلا اختيار منهم ـ إلى ندائه التعبّديّ العميق.

و تبدأ الواقعة حين طلب المأمون من الإمام أن يؤمّ الناس في صلاة العيد التي عادة مـا كـان المـأمون يـصلّيها و يـخطب فـيها. غـير أنّ «الخليفة» تخلّف هذه المرّة عن الخروج إلى الصلاة بذريعة أنّه يجد في بدنه وعكة تُثقله. قال للإمام عليه‌السلام: يا أبا الحسن، قم وصَلِّ بالناس.

ولعلّ المأمون أراد بفعله هذا أن يُشرك الإمام في مراسيم الصلاة الرسميّة العامّة، فيبدو عندئذ أنّه قد شارك في الحياة السياسيّة لدولة بني العبّاس.. لكنّ الإمام لم يُجِبه إلى ما أراد.

و عاوَدَ المأمون طلبه مرّةً بعد مرّة، و الإمام في كلّ مرّة يستعفيه. و لمّا ازداد إصرار المأمون قال له الرضاعليه‌السلام: «إن أعفَيتَني من ذلك فهو أحَبّ إلَيّ، و إن لم تُعفِني خرجتُ كما يخرج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، وكما يخرج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام». فقال له المأمون: اخرُجْ كيف شئت.

ثمّ أمر القوّاد و كبار رجال البلاط و الجند و عامّة الناس أن يبكّروا صبيحة العيد إلى باب الرضاعليه‌السلام، «فقعد الناس لأبي الحسن ـ كما تقول رواية شاهد العيان ياسر الخادم ـ في الطرقات و السطوح، والرجال والنساء والصبيان.. و صار جميع القوّاد و الجند إلى بابه عليه‌السلام، فوقفوا على دوابّهم، حتّى طلعت الشمس.

فلمّا طلعت الشمس قام الرضاعليه‌السلام فاغتسل، و تعمّم بعمامة بيضاء من قطن، و ألقى طرفاً منها على صدره و طرفاً بين كتفَيه، و مَسّ شيئاً من الطيب و تَشَمَّر، ثمّ قال لجميع مَواليه (و أصحابه): «افعلوا مثل ما فعلت».

ثمّ أخذ عُكّازة و خرج، و نحن بين يَدَيه و هو حافٍ قد شَمَّر سراويله إلى نصف الساق، و عليه ثياب مُشَمَّرة.

فلمّا قام و مشينا بين يَدَيه رفع رأسه إلى السماء، و كبّر أربع تكبيرات، فخُيِّل إلينا أنّ الهواء والحيطان تجاوبه. و القوّاد و الناس على الباب

قد تزيّنوا ولبسوا السلاح، و تهيّأوا بأحسن هيئة».

و يقول شاهد العيان: «فلمّا طلعنا عليهم بهذه الصورة حُفاةً قد تَشَمّرنا، طلع الرضا فوقف وقفةً على الباب، و قال: «الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا. الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا». و رفع بذلك صوته، و رفعنا أصواتنا.

فتزعزت مرو بالبكاء و الصياح، فقالها ثلاث مرّات. فلمّا رآه القوّاد والجند على تلك الصورة و سمعوا تكبيره.. سقطوا كلّهم عن الدوابّ إلى الأرض، و رمَوا بخِفافهم (أحذيتهم)، و تحفّى (كلّ منهم)، و صارت مرو ضجّة واحدة، ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج.

و كان أبو الحسن يمشي ويقف في كلّ عشر خطوات وقفة يكبّر الله أربع مرّات، فيُتخَيَّل إلينا أنّ السماء والأرض والحيطان تُجاوبه.

و بلغ المأمونَ ذلك، فقال له (وزيره الداهية) الفضل بن سهل: إنْ بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتُتِن به الناس، و خِفْنا كلّنا على دمائنا، فالرأي أن تسأله أن يرجع.

فبعث المأمون إلى الإمام، يقول له: إنّه قد كلّفه شَطَطاً، وإنّه ما كان يجب أن يُتعِبه! و طلب منه أن يصلّي بالناس مَن كان يصلّي بهم. فدعا أبو الحسن بخُفّه، فلبسه و رجع».

و يضيف الشاهد: «واختلف أمر الناس في ذلك اليوم، ولم ينتظم (أمرُهم) في صلاتهم».

لقد استبان جليّاً للمأمون من خلال الواقعة ـ بوصفه الخليفة الحاكم

لبلدان المسلمين ـ أنّه قد غدا في قبال الرضا عليه السلام صُعلوكاً قَميئاً لا تسعفه شخصيّته الهزيلة لأن يسيطر على مقاليد الأمور، و لا يقدر حتّى أن يدفع عن نفسه الخطر المحتَمل أن يداهمه من هذا التحشيد الجماهيريّ الذي تفجّر، في عاصمة حكمه، من خلال صلاة العيد.

إنّ هذا التأثير المذهل الذي أحدثته تكبيرات الإمام الرضا عليه السلام وهو متّجه إلى إقامة صلاة العيد قد أوضح لجماهير مرو ـ و تناقلته الرُّكبان ـ مَن هو الرجل الجدير بقيادة المسلمين حقّاً، و من هو اللائق أن يأتمّ به مسلمو العالم في شؤون دولتهم و في كلّ مايهمّهم من صغير أمورهم والكبير.

من هنا سارع المأمون ـ بمشورة من وزيره الفضل بن سهل ـ إلى وقف هذا المدّ المتصاعد الذي لا يدري إلى أين سيصل و ماذا تكون عُقباه، فتعجّل ليخرج هو إلى إقامة صلاة العيد بدلاً من أبي الحسن الرضا صلوات الله و سلامه عليه، على الرغم من تظاهره بالوعكة الصحّيّة التي ألمّت به. وكانت صلاه العيد يوم ذاك صلاة مضطربة مرتبكة ربّما لم يشترك فيها كثير من الناس.[١]

لقد دبّر عفريت بني العبّاس مكره هذا، فانقلب مكره عليه، وخرج من الواقعة خاسر الصفقة قد عرّض نفسه لأن يفقد حتّى موضع قدَميه.

مكرَ المأمون مكراً أراد به أن يكيد الرضا عليه السلام، فمكرَ الله به في مكره

---

١. يراجع: ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ١٥٠ / ح ٢١.

نفسه فأرعبه، والله خير الماكرين.

المأمون في دوّامة دسائسه

كانت تحرّكات المأمون السياسيّة مصحوبة في البداية بنشوةِ مَن ظَفَر وكَسَب الجولة، ولكن عندما أنذره الإمام بقوله: «لاتستبشر؛ فإنّه شيء لايتمّ»[1]، لم تمض مدّة يسيرة حتّى آلت سياسته إلى نتائج لم يكن يتوقّعها، إذ وقع هو نفسه في الفِخاخ التي نَصَبها للإمام الرضا عليه السلام.

لقد نطق الإمام بكلامه الأخير هذا في مسمع من الآخرين.

و كان الناس يزداد ميلهم إلى الإمام يوماً فيوماً وهم يَرَون مِن سُموّه المعنويّ والأخلاقيّ، ما يفوق الآخرين جميعاً، و ما لا نظير له عند غير آل محمّد عليهم السلام.

إنّ مقايسة علم الإمام و معنويّته و أخلاقه و فضائله الإلهيّة المتفرّدة بمثل شخصيّة المأمون و حياته المَلِكية المترَفة، ممّا جعل العلماء وجماعة من رجال الدولة وعوامّ الناس يَرَون أنّ الإمام هو الجدير بحكم المسلمين و المتقدّم في كلّ شيء.

و أخيراً.. عزم المأمون على الرحيل إلى بغداد، ولكن ماذا عساه يقدّم للعبّاسيّين المتذمّرين الساخطين من هديّة تُرضيهم وتكسبهم بها إلى جانبه؟ وهل بإمكان القوة العسكريّة أن تحسم الأمر، أم عليه أن يلجأ إلى المكائد السياسيّة؟

---

١. *بحار الأنوار* ٤٩: ٤٧؛ *الفصول المهمّة* ٢٥٦.

في البدء كان المأمون يعير المكائد السياسيّة أهـمّيّة كـبيرة، و هـو يعلم أنّ العباسيّين لن يقرّ لهم قرار ماداموا غير مستيقنين بتداولهـم السلطة التي هي عماد ثروتهم وقوّتهم، حتّى أنّهم سيهدّدونه في عقر داره . و من هنا فكّر في ضرورة إسدال الستار على قضيّة ولاية عهد الإمام إلى الأبد.

هل يخلع الإمام من ولاية العهد و يتغاضى عن البيعـة الموسّعـة التي أُخذت من الناس؟ و ماذا سيكون عندئذ ردّ فعلهم؟

إنّ العباسيّين يقنعون بـذلك و لا ريب، ولكـن مـا مـوقف العـلويّين والشيعة و أنصارهم و سائر المناوئين لسلطة بني العبّاس؟

الخطوة الأولى في السياسة الجديـدة

بدأ المأمون في حركته السياسية الجديدة منذ يوم عيد الفطر، عند إرجاع الامام إلى داره، إلّا أنّ بين هذه الحركة و سياسة القـتل بـوناً غير قليل.

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون وقائد قوّاته المسلّحة أوّل ضحيّة لسياسة المأمون الجديدة، إذ حصد ما كان قد زرعه.

جاء الفضل بن سـهل إلى «سَـرخس» قـادماً مـن مـرو، بـعد أن عـزم المأمون على التوجّه نحو بغداد. و في سرخس دخل الفضل الحمّام ليسـتحمّ، فـهجم عـليه أربـعة رجـال مـن جـند المأمـون مـتنكّرين وقتلوه .[1]

---

١. *تاريخ الطبريّ* ٧: ١٤٨.

ثمّ عمد المأمون إلى القيام بدور الساسة التقليديّ، فـاستنفر جـنده للبحث عن قاتلي «عزيزِه» الفضل، و عيّن جائزة لمن يَقبِض عليهم.[١]

وقد عُرف الفضل بن سهل بين العباسيّين بأنّه أحد المتّهمين الأصليّين بنقل الخلافة إلى العـلويّين، فكـان مـقتله بـصيص أمـل لَـمَّع صـورة المأمون في قلوب مُقرَّبيه.

خطوة المأمون الثانيـة

لا شكّ أنّ إخراج الفضل بن سهل من الميدان السياسيّ كـان مـصدر أمل للعبّاسيّين، إلّا أنّه لم يكن كافياً؛ إذ كانت المعضلة الأصليّة هـي ولاية عهد الإمام الرضـاﷺ، ولابدّ في النهاية أن يُحسم هذا الأمـر لمصلحة العباسيّين.

إنّ الحـلّ الوحـيد الذي تـمخّض عـنه تـفكير المأمـون هـو إخـراج الرضـاﷺ من مسرح الحياة، ولكن كيف؟

و هل يستطيع المأمون أن يعمد إلى قتل الإمام بصفة رسميّة، أو أن يّتهمه بالعمل على الإطاحة بالسلطة؟ أو أ نّه لابدّ أن يلجأ إلى طريقة اغتيال الفضل مرّة أخرى؟ يبدو أنّ كلّاً مـن هـذه الأسـاليب صـعب المرام بالنسبة إلى المأمون.

ولم يكن أحد يعلم ما سيفعله عفريت بني العبّاس، بَيْد أنّه اتّضح له ولكافّة مُحلّلي التاريخ السياسيّ العزم على بضعة أمور:

١ـ القضاء على الإمام لإنهاء معضلة ولاية العهد.

---

١. *تاريخ الطبريّ* ٧: ١٤٨.

٢ـ أن تُبَرّأ ساحة المأمون من جريمة قتل الإمام.

٣ـ استغلال السياسة الجديدة قدر المستطاع من خلال وفاة الإمام .

بَيْد أنّ هذا كلّه ينبغي أن يحدث قبل دخول المأمون بغداد التي هو في طريقه إليها.

شهادة الإمام الرضـا عليه السلام

من البديهيّ أنّ شخصاً داهية كالمأمون الذي حاك كلّ هذه الدسائس والمؤامرات لكي يُرسي دعائم مُلكه، لا يريد التصرّف بما يوحي أنّه مسؤول عن اغتيال الإمام عليّ بن موسى عليه السلام، بل إنه على العكس من ذلك استنفد وسعه في أن لا يَعلَق بأذيـاله غـبار مـن هـذه الزوبـعة العظيمة، بل إنّه تظاهر بأنّه محزون له متفجّع عليه!

أوَ ليس الإمام موسى بن جعفـر عليه السلام حينما قـضى شـهيداً فـي سـجن هـارون بـبغداد بـعد أن تـحمّل الآلام مـدّة طـويلة و كـابد صـنوف العذاب، حاول هارون بوقاحة أن يُظهر شهادة الإمـام بأنّـها مـوت طبيعيّ ؟ ! أليس المأمون هو ابن هارون؟ إذ لا تلد الحيّة إلّا حيّة ! ثمّ أمـا يـعلم المـأمون أنّ التـورّط بسـفك دم ابـن الإمـام مـوسى بـن جعفـر عليه السلام سيزعزع دعائم ملكه؟

لقـد تـركّزت جـميع جـهود المأمـون بـعد شـهادة الإمـام عـليّ بـن موسى عليه السلام في أن لا يتّهمه الناس بقتله.

عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ قال: سألتُ أبا الصلت الهرويّ، فـقلت:

كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام، مع إكرامه ومحبّته له، وما جَعَل له من ولاية العهد بعده؟

فقال: إنّ المأمون إنّما كان يُكرمه ويُحبّه لمعرفته بفضله، و جعل له ولاية العهد مِن بعده ليرى الناسُ أنّه راغب في الدنيا، فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلّاً في نفوسهم، جَلَب عليه المتكلّمين من البلدان؛ طمعاً في أن يقطعه واحد منهم، فيُسقُط محلّه عند العلماء، و يشتهر نقصه عند العامّة، فكان لا يكلّمه خصم من اليهود و النصارى والمجوس والصابئين و البراهمة والملحدين و الدهريّة ولاخصمُ من فِرَق المسلمين المخالفين له، إلّا قطعه وألزمه الحجّة.

و كان الناس يقولون: و اللهِ إنّه أولى بالخلافة من المأمون. وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه، فيغتاظ من ذلك ويشتدّ حسدُه.

و كان الرضا عليه السلام لا يُحابي المأمون في حقّ، و كان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيُغيظه ذلك، و يحقد عليه، ولا يظهره له، فلمّا أعيَتهُ الحيلة في أمره اغتاله، فقتله بالسمّ.[1]

و كانت شهادة الإمام على يد المأمون سنة ٢٠٣ هـ ظُلامة جديدة أُضيفت إلى الظلامات التاريخيّة الواقعة على أهل البيت عليهم السلام،

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ٢٣٩؛ *بحار الأنوار* ٤٩: ٢٩٠. كما وردت آراء أخرى أيضاً في الدافع إلى هذه الجريمة الكبرىٰ وكلّها يصبّ في رافد واحد، و لمزيد من المعلومات راجع: *الشيعة في التاريخ* ٦٩؛ *عصر المأمون* ٢٦٧؛ *تاريخ الشيعه*، ٥٣؛ *كشف الغمّة* ٣: ١٠٩، و غيرها.

وسطّرت بذلك ملحمة أخرى في سجلّ الأحرار و طلّاب الحـقيقة، فانعكست آثار منها في الأدب والشعر.[١]

و فضلاً عن ذلك ورد في المـصادر التـاريخيّة حـديث عـن ثـورات اندلعت بعد شهادة الإمام عليه السلام؛ انتقاماً له و طلباً لثأره.

غادر أحمد بن موسى ـ أخو الإمام عليه السلام ـ بغداد على رأس ثلاثة آلاف رجل تقريباً، و برواية أخرى: اثنى عشر ألفاً، للثأر للإمام، واشتبك في شيراز مع حـاكـمها الذي ولّاه العـباسيّون، فـاستشهد هـناك هـو وأخوه محمّد العابد خلال هذه الواقعة.[٢]

شهـادة الإمـام عليه السلام في الروايـات

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله الصـادق عليه السلام، قال: «قال أبي عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاريّ : يا جابر، أخبِرني عن اللّوح الذي رأيتَه في يد أمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال جابر: أشهَد بالله أنّي دخلتُ على أمّك فاطمة في حـياة رسـول الله صلى الله عليه وآله لأهنّئها بولادة الحسين عليه السلام، فرأيتُ في يدها لوحـاً أخـضر، ظننتُ أنّه زُمرُّد، و رأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس.

فقلت لها : بأبي أنتِ و أمّي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ما هذا اللوح ؟

فقالت: هذا اللوح أهداه الله عزّ وجلّ إلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيه اسم أبي واسمُ بَعْلي و اسم ابَنيّ و أسماء الأوصياء من وُلدي، فأعـطانيه أبـي

---

١. ينظر: ***مناقب ابن شهر آشوب*** ٤: ٣٧٤.

٢. ***نهضة السادة العلويّين*** ١٦٩.

ليسرّني بذلك...

قال جابر: فأشهدُ بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً ... إنّ المُكذِّب بالثامن مُكذِّب بكلّ أوليائي، وعليّ وليّي وناصري ... يقتله عِفريتُ مُستكبِر...»[١].

روى الطريحيّ حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «تُقتَل حَفَدَتي بأرض خراسان»[٢].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: «يخرج رجل من ولد ابني موسى، اسمه اسم أمير المؤمنين عليه السلام إلى أرض طوس، وهي بخراسان، يُقتل فيها بالسمّ، فيُدفَن فيها غريباً».[٣]

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام جاء فيها: «واللهِ ما منّا إلّا مقتول شهيد».

فقيل له: و مَن يقتلك يابن رسول الله؟

قال: «شَرُّ خلقِ الله في زماني، يقتلني بالسمّ».[٤]

و في حديث جرى بين الإمام عليه السلام و بين المأمون قبل ولاية العهد، جاء فيه بعض أسباب رفض الإمام هذه الولاية، فقال: «واللهِ لقد حدّثني أبي، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي أخرُج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسمّ ... أما إنّي لو أشاء أن

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ١: ٤٢ ـ ٤٤.

٢. *مجمع البحرين* ٣: ٣٨ (مادّة: حفد).

٣. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ٢٥٥.

٤. نفسه ٢: ٢٥٦.

أقول لقلتُ مَن الذي يقتلني» ![1]

شمـس لا تغيـب

الأئمّة المعصومون عليهم السلام شموس الله في عالم الخليقة.

روي عن الإمام عليّ الرضا عليه السلام في حديث طويل، قال فيه: «الإمـامُ كالشمس الطالعة للعالَم».[2]

و في حديث آخر عن الإمام عليّ بن أبى طالب عليه السلام، قال: «الإمامُ دليلٌ للقاصدين، و مَنارٌ للمهتدين، و سبيل السالكين، و شمس مشرقة فـي قلوب العارفين»[3].

و الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله هم شموس الحقيقة الإلهيّة التي تستنير بنورها البشريّة في مسيرها إلى الله عزّ وجلّ.. بما في واقع الشمس من إضاءة و هداية وحياة. و هم شموس لا يمكن أن تأفل أو تغيب، وضرورة أساسيّة لوجود الإنسان، وقد ورد ذلك كثيراً فـي أحـاديث أهل البيت عليهم السلام، مثل قول الإمام الصادق ـ وقد سأله بـعض أصـحابه: أتبقى الأرض بـغير إمـام؟ ـ فـقال عليه السلام: «لو بَـقِيَت الأرض بـغير إمـامٍ لَساخَت».[4]

و لا ريب أن الإمام الرضـا عليه السلام قد مضى شهيداً عام ٢٠٣ هـ، و لكنّ المأمون وَهِم ـ كما وَهِم أسلافه ـ إذ ظنّ أ نّه سيطفئ نور الله الغالب

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ١٤٠.   ٢. *بحار الأنوار* ٢٥: ١٢٣.

٣. نفسه ٢٥: ١٧٠.

٤. *الكافي* ١: ١٣٧ ـ باب إنّ الأرض لا تخلو من حجّة / الحديث ١٠.

بنفخة من فمه المرتجف. ذلك أنّ شمس الرضا صلوات الله عليه ظلّت ـ و ستبقى ـ متألّقة في مشكاة النور الكونيّة الباقية، وفي المصباح الإلهيّ الذي لا يُطفأ.

وقد أضحى مزار الإمام طوال قرون مديدة مهوى أفئدة المؤمنين القاصدين الله من بابه القدسيّ، الآمّين بيوت آل محمدﷺ التي أذِن الله أن تُرفع و يُذكر فيها اسمه.. ففيها يجد حقيقة التوحيد من يريد التوحيد، وفيها يجد الطمأنينة والسكينة والأمان من يريد أن يأوي إلى ركن شديد.

وهكذا عُرف الإمام عليّ الرضاعليه السلام بلقب «شمس الشموس» و«أنيس النفوس»، و مازالت رحابه مأوى القلوب المفزوعة، و دليلَ التائهين الذين ادْلَهمّت أيّامهم فجاؤوا من كل فجّ عميق لتقرّ عيونهم وتكتحل أبصار قلوبهم بهذا المزار الملكوتيّ الزاخر بالنور والعطاء.

رحاب الإمام مأمن القلوب

إنّ حرم الإمام الرضا عليه السلام ـ كحرم النبيّ ﷺ و سائر الأئمّة الهداة عليهم السلام ـ أفضل البقاع الموضوعة للناس من أجل تعظيم الله والإقبال عليه، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ **فِي بُيُوتٍ اَذِنَ اللّٰهُ اَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾[2].

وقال: ﴿ **اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ**

١. النور: ٣٦.　٢. الحجّ: ٢٦.

تَطْهِيراً ﴾[1].

إنّ حِـماهُم هـو البـيوت الطـاهرة المُـعَدّة لسـموّ النـاس الروحـيّ والاّتصال بالله سبحانه وتعالى، ومن يَفِد على حـرمهم الآمـن مُـثقَلاً بالمشكلات المادّيّة والمعنويّة، ينعم بالسكينـة و الاطمئنـان، و يبلغ المنى بلطف الله ورحمته، قال الله تـعالى: ﴿ **اَلاٰ بِـذِكْرِ اللّٰـهِ تَـطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[2].

و الأئمّة عليهم‌السلام حقيقة عباد الله و أهل العـبوديّة و الطـاعة له تـعالى، وأقوالهم و أفعالهم و كلّ شأنهم يذكّر بمشيته و رضاه. إنّهم عاشوا لله و قُتِلوا في الله، وحرمُهم منبع لذكره تعالى و لاتّصال الناس به.

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام في وصف الإمام مـن أئـمّة أهـل البـيت عليهم‌السلام: «الإمامُ الماءُ العذبُ على الظمأ، والدالّ على الهدى... مَفزَعُ العباد في الدواهي ... حجّة الله على عباده، و محجّته في أرضه و بلاده... جَلّ مقامُ آل‌محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله عن وصفِ الواصفين و نعتِ الناعتين، و أن يُقاس بهم أحد من العالَمين».[3]

---

١. الأحزاب: ٣٣.

٢. الرعد: ١٣.

٣. *بحار الأنوار* ٢٥: ١٧٠ ـ ١٧٢.

الكرامات و المعجزات الرضويّة

كثيرة هي الوقائع التي يفوز بها زائرو الإمام و قاصدوه بما يأملون، وكثيرة هي الحوادث التي يمنّ بها الله عزّ و جلّ على أهل الضرّ والبلوى فينالون من حرم الإمام الرؤوف أبي الحسن الرضا عليه السلام ما يبتغون.

إنّ مقام الإمامة الإلهيّة التي خصّ الله بها آل محمّد صلّى الله عليه وآله مقام أثير عند الله عزيز عليه، و قد وهبهم سبحانه ما أحبّ من عطائه الذي لا ينفد، و أجرى على أيديهم من خزائن رحمته ما لا يقوى على عَدّه العادّون. و هي خزائن تظلّ ـ مهما فاضت به من خير على الخلق ـ بِكراً كأنّها لم تُمَسّ، يقسم منها بتفضّله مايشاء.

و قد تجلّت مظاهر الرحمة و الرأفة في حياة أهل البيت عليهم السلام، بما حفلت به مصادر الحديث و السيرة والتاريخ، ممّا هو واقع متواتر موثوق. و لا غَرو، فهم معدن الخير و أصله، و منبع الرحمة وأهلها.

وهذه الوقائع التي عُرفت باسم «المعجزات والكرامات»، تصدر منهم

ـ سلام الله عليهم ـ في حياتهم و بعد شهادتهم مصداقاً من مـصاديق الدلالة على الله تعالى والإيصال إليه، و من مصاديق الإعـانة للـخلق والشفقـة على العباد في دفع الضرّ و إزالة الكرب وتفريج الشـدائـد والملمّات.

إنّه من السهل اليسير على أوليـاء الله وأحـبّائه وعـلى مـن اجـتباهم واصـطفـاهم و اخـتارهم مـن خـلقه أن يَـهَبوا مـثل هـذه الهِـبات الإعجازيّـة.. و هم الذين خلقهم الله أنواراً فكانوا بعرشـه مُحدِقيـن، حتّى مَنّ علينا بهم فجعلهم في بيوتٍ أذِن الله أن تُرفَـع و يُذكـر فيها اسمُـه.

و حديث الإعجـاز إنّما هو من مظاهر الحياة الإيمانيّـة التوحيديّـة التي تعتقد بأنّ الله على كلّ شيء قديـر، و أنّه لا يُـعجـزه شـيء فـي السمـاوات ولا في الأرض، وأنّه يهب مـا يشـاء لمـن يشـاء كـيف يشـاء.

و القرآن الكريم ـ و هو كتاب الله الصادق المصدَّق ـ يحكي في مواضع متعدّدة عن وقائع إعجازيّة يكذّب القرآنَ مَـن يكـذّبها، و يـزيغ عـن صراط الحقّ مَن يتأوّلها تأوّلاً يُخرجهـا إلى مرتبة الفعل العـاديّ، أو ينسبها إلى معنىً رمزيّ بعيد عن الواقع وغير مطلوب.

إنّ حديث القـرآن عن نملـة سليمان وهُدهُـده ممّا هو ثابت لامِراء فيه. أمّا إذا جئنا إلى سيرة أنبياء الله في القرآن فإنّنا نـلقى فـيها مـن الفعل الإعجـازيّ شيئاً كثيراً؛ فهذه نار إبراهـيم عليه السلام التي أُلقـي فـيها فاستحالت عليه برداً و سلاماً. و هذه عصا موسى التي تـحوّلت إلى

ثعبان عظيم يلقف ما أظهره سَحَرة فرعون من حيّات السحر، والتي فلقت ـ في واقعة أخرى ـ يَمّ البحر فكان كلُّ فِرق منه كالطود العظيم. وهذا عيسى بن مريم يشفي أصحاب الأمراض المزمنة المستعصية، ويعيد الأموات بعد موتهم إلى الحياة بإذن الله. أمّا سيرة رسول الله المصطفى صلّى الله عليه وآله فهي حافلة بمثل هذه المعجزات التي ذكرها القرآن أو نقلتها كتب الحديث والسيرة، من تسبيح الحصى في يده، و حنين الجذع إليه، ونبوع الماء من بين أصابع يده المقدّسة، والغمامة التي تظلّله من حرّ الشمس و تسير معه حيثما سار، ثمّ حادثة المعراج المذهلة و ما فيها من آيات و دلالات... وغيرها كثير.

إنّ المعجزة كما تكون برهاناً على صدق نبوّة النبيّ تكون برهاناً على صدق إمامة الإمام. و هي ـ في غير هذا ـ مَجْلى للإعانة والإغاثة والرحمة بالخلق. و قد صدّق المسلمون على اختلاف مشاربهم صدور كرامات ممّن يتوسّمون فيهم الخير و التقوى والصلاح، فكيف بمن هم حُجَج الله و أمناؤه في أرضه؟!

إنّ فعل المعجز ـ كما نصّ الإمام الصادق عليه السلام ـ من مزايا الإمام الذي ينصبه الله تعالى عَلَماً وحجّة، و من هذه المزايا: «العصمة، وأن يكون أعلم الناس، و أتقاهم لله، و أن يكون صاحب الوصيّة الظاهرة، و يكون له المعجز و الدليل، و تنام عينه ولا ينام قلبه».[1] و عن صفات الإمام أيضاً يقول الإمام الباقر عليه السلام: «... و أن يُسأل فيجيب... ويُخبِر

---

۱. ***بحار الأنوار*** ۲۵: ۱۴۰.

الناس بما يكون في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسـان ولغـة».[1]

لقد شهد الماضي ـ كما يشهـد الحاضـر الحـيّ الذي نعيش فيه ـ وقائع حيّة كثيرة من هذا النوع تَحدُث مقرونة بلطف من الإمام الرؤوف أنيس النفوس و ملجـأ الغربـاء عليّ بـن مـوسى الرضـا صـلوات الله عليه. و قد دَوّنت السابقَ منها المصادرُ الموثوقة بحيث تصل إلى حدّ التواتر المعنويّ القطعيّ الذي لاريب فيه. و ما نزال نشهد كثيراً مثل هذه الكرامـات الإعـجازيّـة التي يـتفضّل بـها الإمـام عـلى زائـريه وقاصديه و آمِليه. وقد دُوِّن العديد منها في كتب موثّقه، و غالبها ما يفوز به ـ في نفحات روحـيّة رضـويّة غـامرة ـ أصـحاب الشـدائـد المضطرّون والمُبتلَون بأدواء تستعصي على العلاج.

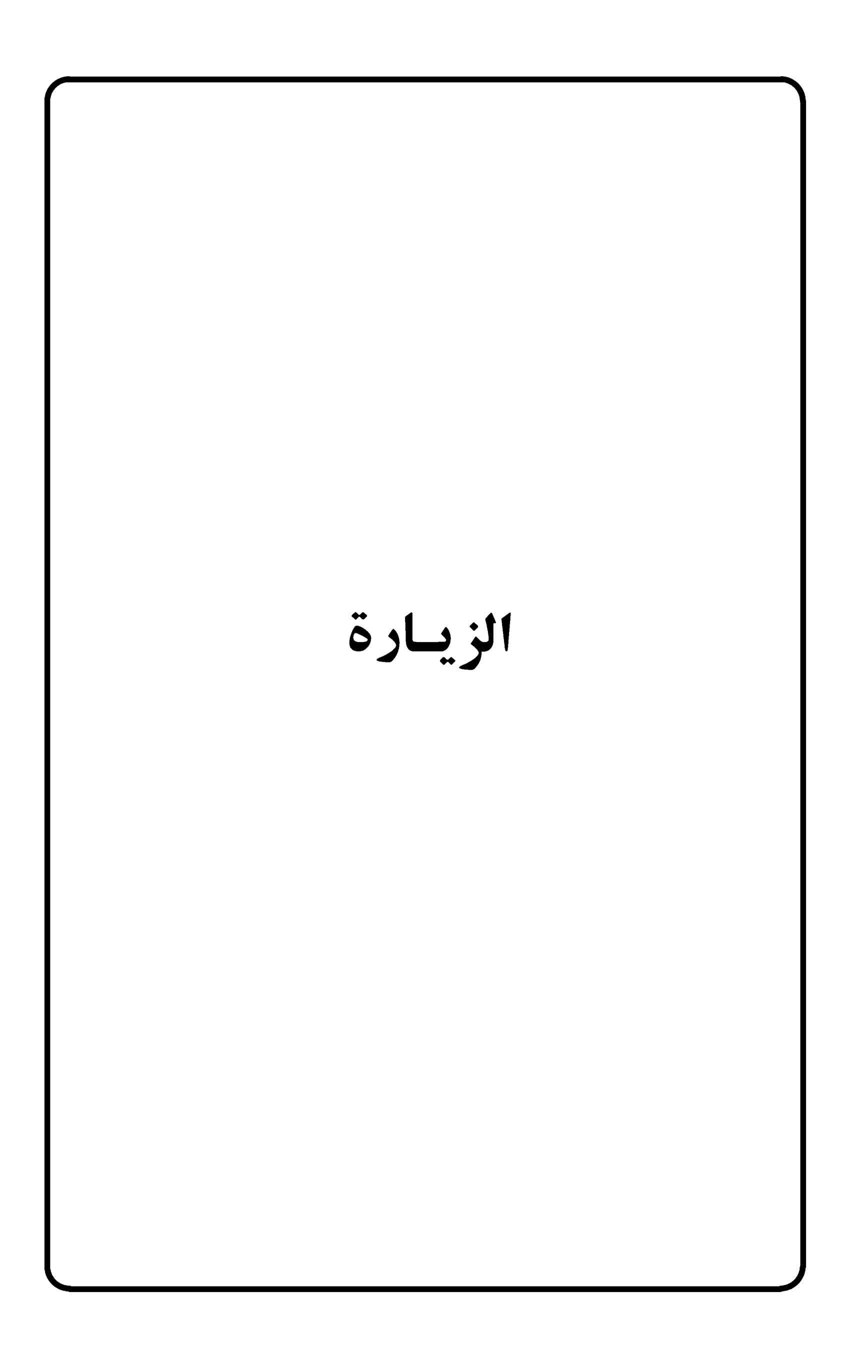
و في هذه العجالة نقتطع نصّاً لأحد العلماء المحقّقين من أعلام القرن الســادس الهــجريّ، يــومئ فــيه إلى طـرف مـن هـذه المـعجزات والكرامـات الرضويّـة الكريمـة. هو ذا الشـيخ أبـو عـليّ الفـضل بـن الحسن الطبرسيّ، يقول في كتابه «إعلام الورى بأعلام الهدى»: «و أمّا ما ظهر للناس بـعد وفـاته مـن بـركة مشـهده المـقدّس و عـلاماته، والعجائب التي شاهَدَها الخلق فيه، وأذعن العامّ والخـاصّ له، وأقـرّ المخالف و المؤالف بـه إلى يـومنا هـذا.. فكـثير خـارج عـن حــدّ الإحصـاء و العَـدّ. ولقد أُبرئ فيه الأكـمَـه و الأبــرَص، واستُجيبت الدعوات، و قُضِيَت ببركته الحاجـات، و كُشِفَت المُلِمّـات. وشاهَدْنا

---

١. *بحار الأنوار* ٢٥: ١٤١.

كثيراً من ذلك و تَيقنّـاه، و عَلِمنا عِلماً لا يتخالج الشكّ و الريب في معناه، فلو ذهبنا نخوض في إيراد ذلك لخرجنا عن الغرض في هـذا الكتاب».[1]

١. *إعلام الورى* ٦٢.



الزيارة

في الطريق إلى الزيــارة

لا شكّ أنّ التعرّف على الوجه الملكوتيّ لثامن كواكب سماء الإمامة والولاية، و على آداب زيارته و ثوابها، و كـيفيّة التشـرّف بـدخول الحرم الرضويّ المحروس بالملائكة، و تقديم مختارات من نصوص الزيارة المعتبرة.. أمرٌ حميد و مفيد، خاصّة للزائرين الذيـن قـطعوا مسافات بعيدة من أجل أن يضعوا رؤوسهم على عتبة حضرته، و من أجل أن يُجدِّدوا عهد الولاء و المودّة لذرّيّة رسول الله ﷺ الطاهرة، فيغسلوا بدموع الشوق ما عَلِق بمرآة القلوب من غبار، و ليَتخفّفوا من أثقال الذنوب و الآثام في التوبة إلى الله قابِلِ التّوب و غافِر الذنب، الربِّ الرحيم، و لِيقبلوا على الضراعة و الدعاء بقلبٍ مُفعَم بالمعرفة و اليقين، و بالطمأنينة والصفاء و الأمل والرجاء.

و بعد ئذٍ... يعودون إلى مَواطِنهم، كحمائم الحرم الطليقة الأجنحة، ممتلئين بالفيوضات الإلهيّة والألطاف الرضويّة، حاملين معهم رسالة رأفة ورحمة الإمـام المـضيّف الكـريم هـديةً لكـلّ عشّـاق الولايــة والإمامـة.

ومن المؤكَّد أنّ الفيوضات الرُّوحانية و المَثوبات الأُخروية تُنال وافيةً متى عرفنا معنى زيارة الإمام و التوسّل به على النحو المقبول، و متى كانت لنا معرفة ـ ولو يسيرة ـ بالإمام، كما جاء في الأحاديث الشريفة، لنكون عارفين بالإمام الذي نزوره.

و ما يضمّه هذا الفصل هو توضيح موجز لهذه المعاني . و من المناسب أن نتعرّف في البدء على حكم الإسلام في السفر وآدابه، لتكون أقوالنا وأفعالنا ـ قبل الحضور عند الإمام عليه السلام ـ مطابقة لتعاليم الدين، و لنكون مهيّئين روحيّاً للتشرّف بدخول حرمه الملكوتيّ الأخّاذ .

السفـر و آدابـه الإسلاميّـة

السفر في الإسلام أمر ممدوح. والإسلام يعتبر السفر فرصة للسلامة ومـبعثاً للـحصول عـلى الغـنيمـة[1]، و هـذا لا يـتنافى و المـتاعب والمشـقّات التـي تَـحدُث في السـفر (وقـد أشـار إليـها عـدد مـن الأحاديث)؛ ذلك أنّ السفر ـ بما يرافقه عادةً من مـعاناة و عـقبات ـ تظلّ منافعه و آثاره المفيدة أكبر ممّا فيه من مشكـلات، و بشكـل خاصّ إذا كان السفر لزيارة أولياء الله.

و من أجل الحصول عـلى مـزايـا السـفر و السـلامة مـن عـوارضـه المحتملة ـ و خاصةً سفر الزيارة ـ دَلّنا الإسلام على آداب و تعاليم فى هذا المجال، نشير هنا إلى عدد منها :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرفيقُ ثُـمّ الطـريق»[2]، يـعني: اصـحَبْ فـي سفرك رفيقاً صالحاً، ثمّ سافِر .

---

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «سافروا تَصِحُّوا، سافروا تَغنَموا»، ***بحار الأنوار*** ٧٦: ٢٢١.

٢. ***بحار الأنوار*** ٧٦: ٢٦٧.

٢ ـ ليكن سفرك مع مَن لا يُقابِل احترامَك و تقديرك له بغير اكتراث، بل مع مَن يقدّر موقفك[١].

٣ ـ افتَتِحْ سَفرَك بالصدقة[٢].

٤ ـ أوصى لقمانُ الحكيم ولدَه أن يحمل معه في سفره الأدوات التي يحتاج اليها، مثل وعاء للماء، و الأدوية التي ينتفع بها هو ومَن معه، والثياب، و الإبرة و الخيوط، و أن لا ينسى وسائل الدفاع المناسبة[٣].

٥ ـ و كذلك أمرَ لقمان ابنه بقوله: إذا سافرتَ مع قومٍ فأكثِر استشارتَهم في أمرك و أمرهم، و أكثِر التبسُّمَ في وجوههم، وكُن كريماً على زادك بينهم، و إذا دَعوكَ فأجِبْهُم، و إذا استعانوك فأعِنْهُم[٤].

٦ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان ثلاثة نفر في سفر فليؤمّهم أقرؤُهم، و ليؤمِّروا أحدَهم[٥].

٧ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيّدُ القوم خادِمُهم في السفر[٦].

و روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أمرَ أصحابَه بذبحِ شاةٍ في سفر، فقال رجل منهم: علَيّ ذَبْحُها، و قال آخر: علَيّ سَلْخُها، و قال آخر: علَيَّ قَطعُها، وقال آخر: علَيّ طَبخُها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علَيَّ أن ألْقُطَ لكم

---

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تَصْحَبَنَّ في سَفَرِكَ مَن لا يرى لك الفضلَ عليه كما ترى له الفضلَ عليك». ***بحار الأنوار*** ٧٦: ٢٦٧.

٢. ***بحار الأنوار*** ١٠٠: ١٠٣.

٣. نفسه ٧٦: ٢٧٠.

٤. نفسه ٧٦: ٢٧١.

٥. ***كنز العمّال***، ج ٦، حديث ١٧٥٤٨ و ١٧٥٥٠.

٦. ***بحار الأنوار*** ٧٦: ٢٧٣.

الحَطَب .

فقالوا: يا رسولَ الله لا تَتْعَبَنَّ، بآبائنا و أُمّهاتنا أنت... نحن نكفيك .

فقال: «عرفتُ أنكم تَكْفُوني، ولكنّ الله عزّ وجلّ يَكرَهُ مِن عَـبدِهِ إذا كانَ مع أصحابِه أن يَنفرِدَ مِن بَينِهم». ثمّ قام ﷺ يلقط الحطبَ لهم[1].

٨ ـ إذا سافرتَ فرَتِّبْ وضعَ سفرك بحيث لا يصيب تكاليفك الشرعيّة وفرائضك الدينيّة بالضـرر[2]، و لا ينبغي للمرأة أن تسافر بـدون مَـن يرافقها مِن محارمها ما أمكنها ذلك .

٩ ـ ابذلْ لرفاق السفر ممّا عندك، وعليك أن تكتـم ما ربّما تراه منهم من سوء المعاملة، و أن تمزح معهم في غير معصية الله[3].

١٠ ـ لا تتشاءم من شيء في سفرك، واحمل معك إذا عُدتَ من السفر هديّة لأهلك ولو قليلة. و في الطريق حاول ألّا تفصل بـينك وبـين رفاقك مسافةٌ بعيدة، ولتكونوا بـحيث لا يـغيب بـعضكم عـن نـظر بعض، في السيارة أو القافلة. وحاول ما أمكنك ألّا يكون رجوعك إلى أهلك ليلاً، لئلّا توقظ النائمين . و إذا كان رفيق سفرك لا يستطيع أن ينفق بقدر ما تنفق فحاول أن تقلِّل من نَفَقتك .

و هذه النقاط هي ملامح من آداب السفر التي نـجد مـضامينها فـي العديد من الأحاديث .

---

١. **بحار الأنوار** ٧٦: ٢٧٣.

٢. نفسه ١٠: ١٠٨.

٣. نفسه ٧٦: ٢٦٦.

أهداف السفـر

يسافر الإنسان لأهداف مختلفة. إنّه يسافر أحياناً لأداء فريضة الحجّ، وللجهاد، و لزيارة أولياء الله، و لصلة الأرحام، و للهجرة والفرار من الفتن. و يسافر أحياناً للتجارة، و لتحصيل العلم، واكتساب التجارب، و إعانة الآخرين، و للنُّزهة السليمة. و في هذه الحالات تكون أهداف السفر مقدّسة و مَرْضيّة. و في أحيان أخرى يكون السفر لأهداف غير مشروعة، كالسفر للهروب من الواجب، وللقيام بعمل غير لائق، و لاقتراف المعاصي. و يكون أحياناً لتمضية الوقت وللتسلية التي ربّما تجرّ الإنسان إلى الفساد والخراب.

الـزيــارة

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ **وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ الله اَمْواتاً بَلْ اَحـياءٌ عِـندَ رَبِّـهِم يُرْزَقُونَ** ﴾ .[1]

من هنا يتجلّى أنّ الأرواح الطّيبة للأئـمّة المـعصومين عليهم السلام ـ و هـم جميعاً شهداء في سبيل الحقّ و الحقيقة ـ أرواحُ حيّة مـطّلعة عـلى زيارتنا ودعائنا وتوسّلنا، ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام : «مَن زارَنا بعد مماتنا كان كمن زارَنا في حياتنا».

الزيــارة ـ إذاً ـ هــي الحــضور بشـوق فـي الحـرم المـقدّس للأئـمّة المعصومين و اللقاء المعنويّ بهم .

الزيارة... عقد الارتباط القلبيّ بحجّة الله، الذي هو واسـطة وصـول فيض الله و رحمته إلى عباده .

و زيارة الإمام تعني مـبايعة الإمـام، و إحـياءً لذكـرى إيـثار الإمـام

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٦٩ .

وتضحيته و استشهاده.

زيارة الإمام، تعني إظهار محبّة الإمام وإبراز مَوَدّته؛ فإنّ الله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿ **قُلْ لا اَسأَلُكُم عَلَيهِ اَجْراً اِلّا المَوَدَّةَ فِى القُربىٰ** ﴾[1].

زيارة الإمام، تعني الإعلان أنّ أسماء أولياء الله و أهدافهم لا تُنسى باستشهادهم.

و المزار، مُلتقى عشّاق طريق الولاية.

و نَصُّ الزيارة إعلان المُتابَعة و المُشايَعة لخطّ قيادة المعصوم، والنُّفرة من الطاغوت وسُبُله وأتباعه.

و لقد كانت الصِّدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام تَخرُج كلّ أسبوع إلى مزار الشهداء في أُحُد. و لمّا علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله التسبيح الذي عُرف بعدئذٍ باسمها المقدّس (الله أكبر ٣٤ مرّة، الحمد لله ٣٣ مرّة، سبحان الله ٣٣ مرّة) أخذت فاطمة من تراب قبر حمزة و صيّرته طيناً، وعملت منه مئةَ حبّة نَظَمَتها في خيط، و أخذت تَعُدّ بها هذا الذِّكر (أي تسبيح الزهراء عليها السلام)، وبهذا قَرَنت إلى ذِكر الله تعالى ذِكرى الشهداء .

و بعد استشهاد الإمام سيّد الشهداء ذلكم الاستشهاد الفجيع، اتُّخِذت مَسابح من تراب قبره الطاهر. و جاءت وصايا الأئمّة الهداة أن نضع جباهنا في سجود الصلاة على تراب كربلاء، و أن نزور الإمام الحسين المظلوم عليه السلام كلّ ليلة قدر، وكلّ ليلة جمعة، وكلّ الليالي

---

١. سورة الشورى، الآية ٣٣.

والأيام المقدّسة، و أن نذكر سيّد الشهـداء عليه السلام كلّما شربنا الماء؛ فإنّ الظالمين قد قتلوه عطشاناً.

إنّ هذا كلّه مـن أجـل ألّا نـنسى الأئـمّة المـعصومين ولا نـغفل عـن طريقهم؛ ذلك أنّ ما يصيب المسلمين من بلايا ومحن إنّما هو بسبب الغفلة عن هؤلاء القـادة الإلهـيّين الهـداة المـعصومين، والركـون إلى الطواغيت المتجبّرين المضلّين.

زيارة الإمـام الـرضـا عليه السلام

ذَكَرت الأحاديث فضلاً عظيماً و ثواباً كبيراً لزيارة الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت أبي الحسن عليّ بن مـوسى الرضـا عليه السلام، ومـن هـذه الأحاديث:

■ قال الإمام محمّد بن عليّ الجـواد عليه السلام: «مَن زارَ قبرَ أبـي بـطوس غَفَر اللهُ له ما تَقدّمَ مِن ذنبه و ما تأخّر»، و «مَن زارَ أبي فله الجنّة»[1].

■ و قال الإمام جعفر بن محمّد الصـادق عليه السلام: «من زارَه في غُربته... كان كمن زارَ رسول الله صلّى الله عليه وآله»[2].

■ و قال الإمام الجواد عليه السلام: «ضَمِنتُ لمـن زارَ قـبرَ أبـي عليه السلام بـطوس ـ عارفاً بحقّه ـ الجنّةَ على الله عزّ وجلّ»[3].

■ و قال الإمام الرضـا عليه السلام: «مَن زارني على بُعد داري و مزاري أَتيتُه يومَ القيامة في ثلاثة مَواطِن حتّى أُخَلِّصَه مِن أهوالها: إذا تَـطايَرت

---

١. *وسائل الشيعة* ١٠: ٤٣٢ ـ ٤٣٣. ٢. نفسه ١٠: ٤٣٤.

٣. نفسه ١٠: ٤٣٥.

الكتب يميناً و شمالاً، و عند الصراط، و عند الميزان»[١].

■ و روى عبدالسلام بن صالح الهَرَويّ عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «لا تنقضي الأيّام و الليالي حتّى تصير طوس مُختلَف شيعتي وزُوّاري . ألَا فمَن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له»[٢].

■ و روي عن الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام أ نّه قال: «من كانت له إلى الله حاجة فَليَزُر قبر جدّي الرضا عليه السلام بطوس و هو على غُسل، ولْيُصَلِّ عند رأسه ركعتين، وليسأل الله تعالى حاجتَه في قنوته؛ فإنّه يستجيب له ما لَم يسأل مَأثَماً أو قطيعة رَحِم. إنّ موضع قبره لَبقعَة مِن بِقاع الجنّة، لايزورها مؤمن إلّا أعتَقَه اللهُ مِن النار، وأدخَلَه دارَ القرار»[٣].

التوسّل

أوجد الله عزّ وجلّ نظام الخليقة وجعله قائماً على الوسائل والأسباب: المطر يَهطِل، لكن بوسيلة البخار و السحاب والرياح. والله سبحانه يكلّم رسوله، لكن بوساطة جبرئيل[٤].

الله تبارك و تعالى نفسه وصف الملائكة في القرآن بأنها واسطة

---

١. *وسائل الشيعة* ١٠: ٤٣٣.
٢. نفسه ١٠: ٤٣٨.
٣. نفسه ١٠: ٤٤٧.
٤. ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الاَمِين** ﴾ ، سورة الشعراء، الآية ١٩٣.

تدبير الأمور[١]. وحتّى في عَرض حاجاتنا في محضر الله تعالى وفـي تقديم الطلبات يكون ابتغاء الوسيلة أمـراً قـيّماً، كـما قـال سـبحانه: ﴿ **وَ ابْتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ** ﴾[٢].

إنّ التوسّل هو أن نَتّخذ أوليـاء الله وسـيلةً لطـلب الحـاجة مـن الله المتعال .

يقول الإمام عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **وَ ابْتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ** ﴾ : «أنـا وسيلُته»[٣] . و تقول الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام : «و نحن وسيلُته في خلقه»[٤].

و في هذا المضمون وردت أحاديث كثيرة[٥].

و من المفيد أيضاً ـ إلى جـوار التـوسّل إلى الله بـالأطهار المـنزَّهين وبـخاصّة أوليـاء الله ـ ذِكـرُ و تـعظيم الأيّـام المـباركة و الأوقـات المقدّسة؛ فالإمام السجّـاد عليه السلام دعا الله بحقّ شهـر رمضـان[٦]. و أقسم الإمام الحسيـن عليه السلام على الله بحقّ ليلة عَرَفة. وقد نزل القرآن في ليلة القدر، و هي ليلة مباركة، بل هي خيرُ مِن ألف شهر[٧].

يقول الإمام مـحمّد البـاقـر عليه السلام : «مَـن أحـيا ليـلَة القـدر غُـفِرت له

---

١. ﴿ **وَالْمُدَبِّراتِ اَمْراً** ﴾ ، سورة النازعات، الآية ٥.

٢. سورة المائدة، الآية ٣٥. ٣. ***تفسير الميزان*** ٥: ٣٦٢.

٤. **شرح *نهج البلاغة*** لابن أبي الحديد ١٦: ٢١١.

٥. يراجع: ***بحار الأنوار*** ٢٣: ١٠١، ٢٤، ٨٤؛ ***تفسير نور الثقلين*** ١: ٦٢٦.

٦. ***الصحيفة السجّاديّة***، الدعاء ٤٤.

٧. ﴿ **إِنَّا اَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَة مُبَارَكَةٍ** ﴾ ، سورة الدخان: الآية ٥.

ذنوبُه»[١].

و نقرأ في القرآن الكريم، عن الملائكة :

﴿ **وَ يَسْتغفِرونَ لِمَن فِى الأَرْضِ** ﴾[٢]، أي أنّ الملائكة ـ وهم وُجَهاء الحضرة الإلهيّة ـ يطلبون العفو و المغفرة لأهل الأرض .

إنّ هذا التوسّل هو عمل مهمّ، و من مظاهر الحياة التوحيديّة النقيّة التي دعانا إليها الله سبحانه و الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، غير أنّ ما هو باطل وذميم أن يكون التوسّل بالحجر والخشب والنار والنجوم وسواها من مظاهر الوثنيّة التي ترى لهذه الجمادات تأثيراً في ذاتها ومن نفسها. ومن الطبيعيّ أنّ شأن أولياء الله يتفاوت تفاوتاً كبيراً عن شأن الأشياء الجامدة الخالية من الروح. نقرأ في القرآن الكريم أنّ النبيّ يعقوب وضع قميص يوسف على عينيه فارتدّ بصيراً و شَفيت عيناه[٣].

إنّ القميص ما هو إلّا قطعة من القماش، لكنّه لمّا لامَسَ جسم يوسف الطاهر العابد مدّة من الزمان غدا له هذا الأثر الشافي .

كمالُ جليسي لقلبي سرىٰ وإلّا.. فما أنا إلّا تـرابُ![٤]

لمّا حَلَق رسولُ الله صلى الله عليه وآله شعر رأسه المبارك في مِنىٰ (بمكّة المكرّمة) بقصد التقصير بعد أداء الحجّ، أخذ الصحابة شعر رأسه

---

١. *بحار الأنوار* ٩٨: ١٦٨.

٢. سورة الشورى: الآية ٥.

٣. سورة يوسف، الآية ٦٩.

٤. ترجمة شعريّة للأصل:

كمال همنشين در من اثر كرد وگر نه من همان خاكم كه هستم

يتبرّكون به[١].

ونحن لا نعتقد أنّ أحداً ـ مهما كان ـ له قدرة مستقلّة عن قـدرة الله عزّ وجلّ، بل نرى أنّ منشأ قدرة أولياء الله من ذات الحقّ تعالى، يقول القرآن: ﴿**أغناهُمُ اللهُ و رَسُولُه مِنْ فَضلِهِ**﴾[٢].

في هذه الآية قُرِن اسم رسول الله باسم الله تعالى. ومن الواضح الجليّ أنّ قدرة النبيّ إنّما هي شعاع من قدرة الله، وهبه الله للنبيّ.

أجَل، إنّ قضيّة التوسّل و مشروعيّته هي من الوضوح بـحيث لا تَدَع ذريعة مُغرِضة للوهّابيّين الذين وصفهم قائد الثورة الكبير قدس سرّه بالحمقى الملحدين.

عندما مَرِض الإمام الهـادي عليه السلام بعث مَن يدعو له عند قبر الإمام الحسين عليه السلام فـي كـربلاء. ومـع أنّ الإمـام الهــادي عليه السلام أحـد الأئـمّة المــعصومين، غــير أنّ فــي هــذا دلالة عــلى رفـعة مـنزلة الإمـام الحســين عليه السلام عـند الله، و عـلى أنّ حـرمه الطـاهر مـوضع اسـتجابة الدعوات ونيل الحاجات.

وقد بيّن الإمام الهادي عليه السلام لمن تعجّب من إرسال الإمام مَن يدعو له في كربلاء أنّ «رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبّل الحـجر [الأسود]، وحرمةُ النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمرَه الله أن يقف بعرفة. إنّما هي مَواطِنُ يـحبّ الله أن يُـذكر فـيها، فأنـا أحبّ أن يُدعى لي حيث يحبّ الله أن يُدعى فيها، و الحَير [أي مـا

---

١. **صحيح مسلم** ٤: ١٨١٢. يراجع كتاب: التبرّك لعلي الأحمديّ.

٢. سورة التوبة، الآية ٧٤.

حول قبر الحسين عليه السلام] من تلك المواضع»[١].

و عندما أصاب الناسَ قحطٌ في أيّام حكم عمر بن الخطّاب، فإنّه قَصدَ العبّاسَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، واستسقى للناس بالعبّاس بن عبد المطّلب[٢].

وروي عن رجل أنّه قال: بعث إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام من خراسان رُزمةَ ثياب، وكان بينها طين، فقلت للرسول [الذي أوصلها إليّ] : ما هذا؟ قال: هذا طينُ قبرِ الحسين عليه السلام، ما كاد [الإمام الرضا عليه السلام] يوجِّه شيئاً من الثياب و لا غيره إلّا و يجعل فيه الطين، فكان يقول: «هو أمان بإذن الله»[٣].

و في الخبر أنّ ابن أبي يعفور قال للإمام الصادق عليه السلام : يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به، و يأخذ غيره فلا ينتفع به !

فقال عليه السلام: «لا والله الذي لا إله إلّا هو، ما يأخذه أحد وهو يرى أنّ الله ينفعه به إلّا نفعه الله به»[٤].

وغير هذا و ذاك .. فإنّ الملايين من الناس يقصدون العتبات المقدّسة في كلّ عام، فيَدْعُون فيها و ينالون ما يطلبون. وحصول الناس على طلباتهم في العتبات المقدّسة هو في ذاته دليل يؤيّد هذا المعنى. تُرى.. مَن الذي يدعو الله في البقاع الطاهرة بفؤاد طافح بالإيمان و قلب منكسر مؤمِّل ثمّ لا يستجاب دعاؤه؟!

١.*كامل الزيارات* ٢٧٣.

٢. *تاريخ الخلفاء للسيوطيّ* ١٤٧.

٣.*كامل الزيارات* ٢٧٨.

٤. نفسه ٢٧٤.

نقرأ في القرآن الكريم:

﴿ وَ لَوْ اَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً ﴾[١].

بنـاء القبّـة و الحـــرم

في القـرآن الكـريم دلالة عـلى جـواز بـناء المسـجد عـلى مـزار الرجال الإلهيّين[٢]. وفي اتّخاذ القبّة و الحضرة علامة عـلى أنّ هـذه البقعة المقدّسة هي مرقد لرجل من دعاة التوحيد.

وفي هذا المجال، جاء في سنن أبي داوود:

لمّا مات عثمان بن مظعون أُخرج بـجنازته فـدُفن، وأمـر النـبيُّ رجلاً أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليـه رسـول الله ﷺ وحَسَر عن ذراعَيه.. ثمّ حمله فوضعه عند رأسه، و قال: «أَتعلَّم بـها قبرَ أخي، و أدفن إليه مَن مات مِن أهلي»[٣].

و من الواضح الجليّ أن تشييد الحرم و إقامة القِباب على المراقد الطاهـرة للمعصوميـن عليهم السلام هو لون من التـجليل و التـعظيم لهـؤلاء الحجج الإلهيّين الذين استُشهِـدوا في سبيل الله بعد حـياة تـوحيدّية

---

١. سورة النساء، الآية ٦٣.

٢. ﴿ **لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً** ﴾، سورة الكهف، الآية ٢١. إنّهم عدد من الفتية المـؤمنين الذين أوَوا إلى الكهف فراراً بدينهم من شرّ الطاغوت، ثمّ توفّوا بعد وقائع مدهشة ذكرتها سورة الكهف، فقال المؤمنون المعاصرون لهم آنذاك: لنتخذنّ عليهم مسجداً.

٣. ***سنن أبي داوود*** ٣: ٢١٢. أتعلَّم بها: أي أجعلها علامةً للقبر.

عظيمة حافلة بالعمل على الهداية و التبصير، و في هذا نوع من الإحياء الدائم لذكرى هؤلاء الأئمّة القادة في حياة الناس، ولِتَغدُو ومزاراتهم المقدّسة مَثاباتٍ للناس يتلقّون فيها من الفيض الإلهيّ ما يسعدهم ويُغنِيهم .

تقبيل أبواب الحرم

عندما نقبّل أبواب الحرم و ضريح الإمام و نعدّها مباركات، فإنّما نفعل ذلك احتراماً و تعظيما لحجّة الله الإمام المعصوم الذي تستمدّ الأبواب والجدران و الضريح مِن بركته ويسري إليها من قداسته.. تماماً كما نقبّل غلاف القرآن الكريم لاعتقادنا أنّ القرآن قد كُتب على ورقه و أنّ الجلد قد غدا غلافاً للمصحف الشريف، فاكتسب بركةً و قداسة خاصّة، ولكنّ هذا الجلد نفسه لو صُنع منه لباس أو جُعل حقيبة للإنسان لَما كان له قطّ شيء من هذه البركة وهذه القداسة .

السلام على أولياء الله

أوّل ما ورد إهداء التحيّة إلى أولياء الله والسلام عليهم إنّما ورد في القرآن الكريم، في قوله:

﴿ سَلامٌ عَلىٰ نُوحٍ فِي الْعٰالَمِينَ ﴾[1]

﴿ سَلامٌ عَلىٰ إبْرٰاهِيمَ ﴾[2]

---

١. سورة الصافّات، الآية ٧٩.
٢. سورة الصافّات، الآية ١٠٩.

﴿ سَلٰامٌ عَلىٰ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ ﴾[١]
﴿ وَ سَلٰامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[٢]
﴿ وَ سَلٰامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾.[٣]

و نحن أيضاً نتّبع ما جاء في القرآن، فنُسَلِّم على رسول الله ﷺ والأئمّة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام. وبسلامنا هذا وتحيّاتنا هذه نعرض، بين أيديهم، محبّتنا و احترامنا. و هذا في نفسه نوع من تقديم الشكر والامتنان لهم على جهودهم في إبلاغ الحقائق الإسلاميّة وبثّها حتّى مَنّ الله علينا فجعلنا مسلمين من شيعة أهل البيت عليهم السلام.

ذكر المناقب و المصائب

يذكر الله سبحانه في القرآن محنَ و شدائد الأنبياء و أصحابهم، فيقول تعالى:

﴿ وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قٰاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمٰا وَهَنُوا لِمٰا أَصٰابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَ مٰا ضَعُفُواْ وَ مَا اسْتَكٰانُوا وَ اللهُ يُحِبُّ الصّٰابِرِينَ ﴾.[٤]

و قد تضمّنت أكثر نصوص «زيارة» أئمّة أهل البيت عليهم السلام عبارات تتحدّث عمّا تحمّله هؤلاء الأئمّة الصابرون ـ في الله تعالى ـ من محن و بلايا و مشقّات عظيمة، و ما واجههم به الخصوم و الأعداء ـ بسبب ثباتهم و رسوخهم في الحقّ ـ من مواقف سيّئة مُعادية. إنّ

---

١. سورة الصافّات، الآية ١٢٠.
٢. سورة مريم، الآية ١٥.
٣. سورة الصافّات، الآية ١٨١.
٤. سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

التوجّه إلى مضامين هذه العبارات و التدقيق فيها يزيد المرء تعرّفاً واطّلاعاً على ما عاناه الأئمّة الطاهرون من هضم وظلم، ويزيده بصيرة بحقهم و مقامهم الإلهيّ الرفيع .. كما نلاحظ نماذج من ذلك في أغلب فقرات «الزيارة الجامعة الكبيرة»[١].

---

١. تجد نصّ الزيارة الجامعة الكبيرة في مفاتيح الجنان، و قد رواها الشيخ الصدوق في كتابه: ***عيون أخبار الرضا*** عليه‌السلام ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٧.

آداب الزيـارة

من أجل تعرّف القرّاء الأعزّاء على ما تقتضيه زيـارة حـجّة الله على خلقه الإمام المعصوم عليهم‌السلام من آداب، نشير هنا إلى عدد منها :

١ ـ نذهب إلى الزيارة مُنفِقين مـن المـال الحـلال، فـإنّ اللُّـقمة الحرام لاتُقبَل بها الصلاة و لا الزيارة، و لا يستجاب بها الدعاء[1].

٢ ـ نجتنب المعاصي و الآثام، ذلك أنّ الله تعالى إنّما يتقبّل عمل الخير من المتّقين[2].

٣ ـ عـند مـغادرة الوطـن و تـوديع الزوجـة و الأولاد و الأهـل، نوصيهم بالتقوى و العمل الصالح، فإنّ للتذكير في لحظات الوداع أثره البالغ .

٤ـ علينا ـ في تهيئة بطاقة السفر و واسطة النقل ـ أن لا نرتكب إيذاءً لأحد، و لا نسيء التعامل، و لا نكذب، و لا نُـضيع حـقّاً، و لا نستغلّ أموال الآخرين، ذلك أنّ ارتكاب كلّ واحدة من هذه الأمور

---

١. *المحاسن للبرقيّ* ٨٨.

٢. انظر: سورة المائدة، الآية ٢٧.

من شأنه أن ينأى بسفر الزيارة المقدّس عن قيمته الحقيقة.

٥ ـ لنعلم أنّنا إذا استصغرنا أحداً قبل ذلك و لم نتقبّله، فإنّ الإمام عليه‌السلام لن يقبلنا أيضاً.

كان عليّ بن يقطين في أيّام الإمام الكاظم عليه‌السلام وزيراً لهارون الرشيد. وفي أحد الأيّام أراد إبراهيم الجَمّال ـ و كان جَمّالاً من الشيعة ـ أن يدخل مجلس الوزير، فلم يأذن له عليّ بن يقطين. وحَدَث في تلك السنة أن حَجّ ابنُ يقطين، و ذهب إلى المدينة فاستأذن ليدخل على الإمام الكاظم عليه‌السلام فحَجَبه ولم يأذن له. فرآه في اليوم التالي، فسأله: يا سيّدي، ما ذنبي [حتّى حَجَبتني عنك] ؟

فقال له الإمام عليه‌السلام: «حَجَبتُك لأنّك حَجَبتَ أخاك إبراهيم الجمّال، و قد أبى الله أن يَشكُر سعيك أو يغفر لك إبراهيمُ الجمّال»[1].

٦ ـ أن نُعين رفقاء سفرنا ما أمكننا ذلك، و أن نحسن إليهم. يقول مُرازم ابن حكيم: زامَلتُ [في طريق المدينة المنوّرة] محمّد بن مصادف، فلمّا دخلنا المدينة اعتَلَلت [أي: مَرِضت]. فكان يمضي إلى المسجد و يَدَعني وحدي، فشكوتُ ذلك إلى مصادف فأخبرَ به أبا عبد الله عليه‌السلام، فأرسَلَ إليه: «قُعودُك عنده أفضلُ من صلاتك في المسجد»[2].

٧ ـ لا نستصغر خدمة الناس و لا نستهين بها، ولنعلم أن إعانة الرفقاء لها ثوابها.

---

١. **بحار الأنوار** ٤٨: ٨٥.

٢. **الكافي** ٤: ٥٤٥.

يــقول إســماعيل الخـثعميّ : إنّـا إذا قَـدِمنا مكّـةَ ذَهَـب أصـحابُنا يطوفون ويتركوني أحفظ متاعهم، فقال الإمام عليه‌السلام : «أنت أعـظَمُهم أجراً»[1].

٨ ـ للتشرّف بالزيارة يَحُسنُ أن نلبس ثـياباً طـاهرة لائـقة و أن نــتطيّب بــالطِّيب، لئــلّا تــؤذي الزائـرين رائـحة عـرقنا أو رائـحة الجوارب .

٩ ـ أن ندخل الحرم على وضـوء (وعـلى غُسـل إن أمكـن)، و أن نخطو بسَكِينة و وقار . وبعد إذن الدخول نـتشرّف بـمحضر الإمـام بخضوع و رجاء و حضور قلب و عين دامعة . ثـمّ نـقف فـي قـبالة الضريـح الطاهـر إذا لم يكن في ذلك مضايقة للآخرين، و إلّا وقـفنا على مسافة من الضريح و نزور الإمام و نقول نخاطبه عليه‌السلام :

يا إمامي ، طالما عُرِضَت عليك أعمالي السيّئة، و طـالما آذيـتُك بأعمالي و أقوالي الذميمة.. وها أنذا جئتُ أعتذر أمام ألطافك .

يا إمامي، أنتم أهل بيت رسول الله موضع هبوط مـلائكة الحـقّ وعروجهم، و معدن علم الله و رحمته .

يا إمامي ، أنتم حجّة الله و أولياء نـعمتنا، و أنـتم بـيت الإمـامة ساسة العباد و ملجأ الخلق. اصطفاكم الله بالعقل الكامل، و جعلكم كنز العلم و المعرفة وجعلكم تراجمة لوحيه و الشهداء على خلقه، عصمكم الله من الزلل وطهّركم من الدَّنس، و قد بذلتم أنـفسكم فـى

---

١. *الكافي* ٤: ٥٤٥.

مرضاته، و كنتم الدعاة إليه .

يا إمامي ، أنتم نور في الظلمات، إذا ذكر الحقّ كنتم مُبتدأه ومُنتهاه، أنتم محور التقوى و الصدق و العزّة و الرحمة. أنتم خلفاء الله في الأرض، وحُجَجه على الخلق، و عندكم الغيب و كمال المعرفة و العشق و المودّة الخالصة و اليقين الراسخ، أنتم مقيمو الصلاة ومؤدّو الزكاة و باذلو النفوس في سبيل الله[1].

ونُتَمْتِم بمثل هذه الكلمات، و نروح نُقبّل الأبواب و الأعتاب حبّاً للإمام عليه السلام، و ندعو للصالحين و العلماء الذين عرّفونا على هذا الطريق، ونستمدّ العون من الله الكبير المتعال لتربية أبنائنا عارفين بحقّ الأئمّة الطاهرين.

١٠ ـ بعدها نقرأ بصوتٍ خافت إحدى الزيارات المعتبرة (مثل زيارة أمين الله و الزيارة الجامعة الكبيرة) بتوجّه إلى معانيها، ثمّ نصلّي ركعتين بنيّة (صلاة الزيارة) .

١١ ـ نشارك في صلاة الجماعة إذا حان وقتها، لئلّا نُحرَم فضيلة الصلاة في أوّل الوقت.

١٢ ـ نأخذ توجيهات خدّام الحرم مأخذ الجِدّ، و نتجنّب مضايقة الآخرين .

١٣ ـ عند تشرّفنا بدخول الحرم الطاهر لا نُضيّع الوقت بالإغفاء أو بالكلام غير المُجدي، أو بالجدال الذي يجرّ إلى الخصومة، بل نستثمر هذه اللحظات النفيسة لقراءة القرآن، أو لقراءة الزيارة

---

١. عبارات مُستقاة معانيها من بعض مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة.

الجامعة و الأدعية المعتبرة، أو نصلّي قضاءً عنّا و عن والدَينا، وصلاةً مستحبّة نهدي ثوابها إلى الروح القدسيّة للإمام الرضا عليه السلام، أو سائر الأئمّة المعصومين، أو لوالدَينا و أرحامنا، لتكون ذخيرةً لنـا و زاداً في الآخرة.

١٤ـ لا نغفل عن الدعاء بتعجيل فَرَج الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف، و في ظهور منقذ البشريّة و مصلح العالم.

إضمامة من رؤية و نهج الرضا عليه السلام

موقف من الطاغوت: وصل مسافران إلى خراسان، و دخلا على الإمام الرضا عليه السلام يسألانه عن حكم صلاتهما قصراً أو إتماماً.

قال الإمام لأحد الرجلين إنّ صلاته ركعتان، و قال للآخر إنّ صلاته أربع ركعات. و عَجِب الرجلان لهذا التمييز بينهما في الصلاة و هما كلاهما مسافران. فقال الإمام للأوّل: «وجب عليك التقصير لأنّك قَصَدتَني». وقال للآخر: «وجب عليك التمام لأنك قَصَدت السلطان» أي: الطاغوت، و من سافر للقاء الطاغوت كان سفره سفرَ معصية، و لا قصر في صلاة سفر المعصية[1].

مع الضيف: نزل بالإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ضيف، و كان جالساً عنده في بعض الليل، فتغيّر السراج، فمدّ الرجل يده ليصلحه، فَزَبره الإمام أبو الحسن عليه السلام، ثمّ بادره بنفسه فأصلحه، ثمّ قال له: «إنّا قوم لا نستخدم أضيافنا»[2].

---

١. ***وسائل الشيعة*** ٥: ٥١٠.

٢. ***الكافي*** ٦: ٢٨٣. و زَبَرَه: مَنَعَه.

مع الخـادم: يقول نادر خادم الإمام الرضا عليه السلام : كان الإمام عليه السلام إذا أكل أحدُنا لا يستخدمه حتّى يفرغ من طعامه. و يقول: قال لنا أبو الحسن الرضـا عليه السلام: «إن قُمتُ على رؤوسكم و أنتم تأكلون فلا تقوموا حتّى تفرغوا»[1].

و كان الإمام الرضـا عليه السلام يـعامل خـدمه صـغاراً و كـباراً بـمحبّة، ويكلمهم برفق[2] .

و اقتَرَح عليه رجل يوماً أن يعزل مـائدة لَمـواليـه مـن السُّـودان وغيرهم، ولا يجلس معهم على مائدة واحدة، فقال له عليه السلام: «مَه! إنّ الربّ تبارك وتعالى واحد، والأمّ واحـدة، و الأب واحـد، و الجـزاء بالأعمال»[3].

الإمام و العطـاء: فرّق الإمام الرضا عليه السلام يوم عرفة فـي خـراسـان مالَه كلّه بين المحرومين، فقال له قائل: إنّ هذا لَمغرَم ! فقال: «بل هو المَغنَم، لا تَعُدَّنَّ مَغرَماً ما ابتَغيتَ به أجراً وكرماً»[4] .

الإمام و الأدب: يقول إبراهيم بن العـبّاس: مـا رأيتُ أبـا الحسـن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمةٍ قطّ، و لا رأيته قَـطَع عـلى أحـدٍ كـلامَه حتّى يفرغ منه، و ما ردَّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، و لا مَدَّ رِجلَه بين يَدي جليس له قطّ، و لا اتّكأ بين يَدي جليس له قطّ، ولا رأيتُه شَتَم أحداً من مَواليه و مماليكه قطّ ... كان ضحكه التبسّم، و إذا خلا

---

١. *الكافي* ٦ : ٢٩٨.
٢. *إعلام الورى* ٣١٤.
٣. *الروضة من الكافي* ٢٣٠ / ح ٢٩٦.
٤. *مناقب آل أبي طالب* ٢: ٤١٢.

و نُصب له مائدة أجلَسَ معه على مائدته مماليكه و مواليه حتّى البوّاب و السائس[۱].

الإمام و الاقتصاد: أكل الغِلمانُ يوماً فاكهةً و لم يَستَقصُوا أكلها ورمَوا بها، فقال لهم الإمامعليه‌السلام: «سبحان الله! إن كنتم استَغنَيتُم فإنّ أُناساً لم يَستَغنُوا، أطعِموه مَن يحتاج إليه»[۲].

عفو الإمام: أغار الجَلُوديّ من قوّاد هارون الرشيد على دُور آل أبي طالب في المدينة، فلمّا صار الجلوديّ إلى باب الإمام الرضا عليه‌السلام أراد الهجوم على الدار ليسلب ما على النساء من الحُليّ، قال الإمام لهذا الذي أصرّ على تنفيذ الامر الجائر: أنا أسلبهُنّ لك، و أحلف أنّي لا أدَعُ عليهنّ شيئاً إلّا أخذته!

و يمرّ الزمان، و يتبدّل الوضع السياسيّ، فيُجعَل الإمام الرضا عليه‌السلام وليّاً للعهد، و يُلقى الجَلوديّ في السجن. ولمّا أُدخل الجلوديّ على المأمون لمحاكمته، قال الإمام الرضا عليه‌السلام للمأمون: هَبْ لي هذا الرجل (أي: أعفُ عنه من أجلي).

و نظر الجلوديّ إلى الإمام الرضا عليه‌السلام و هو يكلّم المأمون، فظنّ أنّ الإمام يطلب قتله، فقال للمأمون: أسألك بالله أن لا تَقبَل قولَ هذا فيّ!

قال له المأمون: أما و قد أقسمتَ عليَّ فإنّ مصيراً أسود بانتظارك، فقُدِّم و ضُربت عنقه[۳].

---

۱. *عيون أخبار الرضا*عليه‌السلام ۲: ۱۸٤. ۲. *الكافي* ٦: ۲۹۷.

۳. *بحار الأنوار* ٤۹: ۹۳ ـ ۹٤.

الإمام و بساطة العيش: تقول جارية: اشتُرِيتُ من الكوفة وحُمِلتُ إلى المأمون، فكنت في داره في جنّة من الأكل و الشرب والطِّيب و كثرة الدنانير، فلمّا صِرتُ بعدئذ في دار الإمام الرضا عليه السلام فقدتُ جميع ما كنت فيه من الترف، و كان الإمام يحثّنا على الصلاة و العبادة. و كانت حياته البسيطة و عبادة الليل من أشدّ الأشياء علَيّ، فكنت أتمنّى الخروج من داره ![1]

الإمام و القرآن: كان كلام الإمام كلّه انتزاعات من القرآن، و كان يختمه في كلّ ثلاثة أيّام، و يقول: «لو أردتُ أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت»[2].

الإمام و مناجاة الليل: كان يُكثر بالليل من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذِكر جنّة أو نار بكى و سأل الله الجنّة و تعوّذ من النار . فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام بالتسبيح و التحميد و الاستغفار، فاستاك ثمّ توضّأ، ثمّ قام إلى صلاة الليل. و يصلّي صلاة جعفر الطيّار أربع ركعات، و يحتسبها من صلاة الليل[3].

و كان قليل النوم بالليل كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح. و كان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيّام في الشهر، ويقول: «ذلك صوم الدهر». و كان كثير المعروف و الصدقة في السرّ، و أكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة[4].

شرط الأُخوّة: قال الإمام الرضا عليه السلام لأخيه: «أنت أخي ما أطعتَ

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ١٨٤.
٢. نفسه ٢: ١٨٠.
٣. *بحار الأنوار* ٤٩: ٩٣ ـ ٩٤.
٤. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ج ٢، ص ١٨٤.

الله، فإذا عصيتَ الله فلا إخاء بيني و بينك»[١].

تعامل الإمام مع الشيعة: يقول موسى بن سيّار: كنتُ مع الرضا عليه السلام و قد أشرف على حِيطان طوس، و سمعتُ واعيةً فاتّبعتُها.. فإذا نحن بجنازة، فلمّا بَصُرتُ بها رأيتُ سيّدي وقد ثنى رِجله عن فرسه ثمّ أقبل نحو الجنازة فرفعها، ثمّ أقبل يلوذ بها.. ثمّ أقبل عليّ وقال: «يا موسى بن سيّار، مَن شيّع جنازة وليٍّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه لا ذنب عليه». حتّى إذا وُضع الرجلُ علىٰ شفير قبره رأيت سيّدي قد أقبل، فأفرَج الناس عن الجنازة حتّى بدا له الميّت، فوضع يده على صدره ثمّ قال: «يا فلان بن فلان، أبشِر بالجنّة فلا خوف عليك بعد هذه الساعة».

فقلت: جُعِلت فداك، هل تعرف الرجل؟

فقال لي: «أما علمتَ أنّا ـ معاشرَ الأئمّة ـ تُعرَضُ علينا أعمال شيعتنا صباحاً و مساءً، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفحَ لصاحبه، و ما كان من العلوّ سألنا الله الشكر لصاحبه؟!»[٢].

و جاء رجل إلى الإمام الرضا عليه السلام وقد نَفِدَت نفقتُه بعد الحجّ، فقال له: فإن رأيتَ أن تُهيّئني إلى بلدي، فإذا بلغتُ بلدي تصدّقتُ عنك بمقدار ما أعطيتني . فدخل عليه السلام الحجرة، وبقي هناك بعضَ الوقت، ثمّ أخرج يده من أعلى الباب و أعطاه مئتي دينار، و قال:

---

١. *مناقب آل أبي طالب* ٤: ٣٦١؛ *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ٢٣٢.

٢. نفسه ٤: ٣٤١.

«استَعِنْ بها في أمورك ونفقتك وتَبَرَّكْ بها، و لا تتصدّق بها عنّي».

فلمّا خرج الرجل سأل الإمامَ بعضُ أصحابه عن سبب إعطائه المال من وراء الباب، فقال عليه السلام: «مخافةَ أن أرى ذلّ السؤال في وجهه بقضاء حاجته»[1].

تواضع الإمام: دخل الإمام عليه السلام الحمّام، فقال له أحد الناس: دَلِّكْني يارجل، فجعل يدلكه. فعرّفوه أنّه الإمام، فأخذ الرجلُ يعتذر منه، و الإمامُ يطيّب خاطره ويدلكه[2].

و كان جلوس الإمام الرضا عليه السلام في الصيف على حصير، و في الشتاء على مِسْح (بساط من شعر خشن). و كان لبسه الغليظ من الثياب، حتّى إذا بَرَز للناس تزيّن لهم[3].

الإمام و تحديد أجرة العامل: يقول سليمان بن جعفر الجعفريّ: كنت مع الإمام الرضا عليه السلام في بعض الحاجة، فأردتُ أن أنصرف الى منزلي، فقال لي: انصرف معي فَبِتْ عندي الليلة. فانطلقتُ معه، فدخل إلى داره.. فنظر إلى غِلمانه يعملون بالطين أواري (إصطبل) الدوابّ و غير ذلك، و إذا معهم أسودُ ليس منهم، فقال: ما هذا الرجل معكم؟ فقالوا: يعاوننا و نعطيه شيئاً. قال عليه السلام: قاطعتموه على أجرته؟ فقالو: لا، هو يرضى منّا بما نعطيه. فأقبل عليهم يضربهم بالسوط، و غضب لذلك غضباً شديداً، فقلت: جُعِلت فداك، لِمَ تُدخِل على نفسك؟! فقال: «إنّي قد نَهيتُهم عن مثل هذا غير مرّة أن يعمل

---

١. *الكافي* ٤: ٢٤.

٢. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ٢: ١٧٨.

٣. نفسه.

معهم أحد حتّى يُقاطعوه أجرته»[١].

الإمام و التعامل مع الظالم: يقول الحسن بن الحسين الأنباريّ: كتبتُ إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أربع عشرة سنة أستأذنه في عمل السلطان، فلمّا كان في آخر كتاب كتبته إليه أذكر أنّي أخاف على خبط عنقي و أنّ السلطان يقول: إنّك رافضيّ و لسنا نشكّ في أنّك تركتَ العمل للسلطان للرفض.

فكتب إليّ أبو الحسن عليه السلام: «و قد فهمتُ كتابك وما ذكرتَ من الخوف على نفسك؛ فإن كنت تعلم أنّك إذا وُلِّيتَ عَمِلتَ بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ يصير أعوانك و كتّابك أهل ملّتك، فإذا صار إليك شيء من المال واسيتَ به فقراء المؤمنين حتّى تكون واحداً منهم كان ذا بذا، و إلّا فلا»[٢].

أزهار من الحدائق الرضويّة

١ ـ صاحبُ النعمة يجب أن يُوسِّع على عيالِه[٣].

٢ ـ مِن أخلاق الأنبياء التَّنظُّف[٤].

٣ ـ ليست العبادةُ كثرةَ الصيام و الصلاة، و إنّما العبادةُ كثرةُ التفكّر في أمر الله[٥].

---

١. *الكافي* ٥: ٢٨٨.

٢. نفسه ٥: ١١١؛ *بحار الأنوار* ٤٩: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

٣. *تحف العقول* ٤٤٢.

٤. نفسه.

٥. نفسه.

٤ ـ الأخُ الأكبرُ بمنزلة الأب[١].

٥ ـ صَديقُ كلِّ امرئٍ عَقلُه، و عدوُّه جَهلُه[٢].

٦ ـ التَّودُّدُ إلى الناسِ نِصفُ العَقل[٣].

٧ ـ إنَّ الله يُبغِضُ القيلَ و القال، و إضاعةَ المال، و كَثرةَ السؤال[٤].

٨ ـ سُئل عن خيار العِباد، فقال عليه السلام: الذينَ إذا أحسَنوا استَبشَروا، وإذا أساؤوا استَغفَروا، و إذا أُعطُوا شكروا، و إذا ابتُلوا صَبروا، وإذا غَضِبوا عَفَوا[٥].

٩ ـ السَّخيُّ يأكُلُ مِن طعام الناسِ ليأكلوا مِن طعامِه، و البخيلُ لا يأكلُ مِن طعام الناس لئلّا يأكلوا مِن طَعامِه[٦].

١٠ ـ عَونُكَ للضعيف مِن أفضَلِ الصدقة[٧].

١١ ـ لا يستكملُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتّى تكونَ فيه خصالٌ ثلاث: التفقُّهُ في الدِّين، وحُسنُ التَّقديرِ في المعيشة، والصَّبرُ على الرَّزايا[٨].

١٢ ـ الإيمان: إقرارٌ باللسان، و معرفةٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان.[٩]

١٣ ـ رأسُ طاعةِ اللهِ الصبرُ والرضىٰ.[١٠]

١٤ ـ مَن أطاع الخالَق لم يُبالِ بسخطِ المخلوقين، و مَن أسخَطَ

---

١. ***تحف العقول*** ٤٤٢.
٢. نفسه ٤٤٣.
٣. نفسه ٤٤٣.
٤. نفسه. كثرة السؤال: كثرة الطلب.
٥. ***تحف العقول*** ٤٤٥.
٦. نفسه ٤٤٦.
٧. نفسه.
٨. نفسه.
٩. ***الخصال***: ١٧٧.
١٠. ***فقه الرضا*** عليه السلام: ٣٥٩.

الخالَق فليُوقِنْ أن يَحِلَّ به سخطُ المخلوقين.[١]

١٥ ـ أحسِنِ الظنَّ بالله؛ فإنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول: أنا عند ظنِّ عبدي المؤمِن بي، إنْ خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً.[٢]

١٦ ـ الصغائرُ من الذنوبِ طُرُقٌ إلى الكبائر، و مَن لم يَخَفِ اللهَ في القليل لم يَخَفْهُ في الكثيرِ. ولو لم يَخَفِ اللهَ الناسُ بجنّةٍ ونارٍ لَكانَ الواجبُ أن يُطيعوهُ ولا يَعصُوه؛ لتفضّلِهِ عليهم، وإحسانِهِ إليهم، وما بَدَأهُم به من إنعامِهِ الذي ما استَحَقّوه.[٣]

١٧ ـ المُستَتِرُ بالحَسَنةِ تَعدِلُ سبعينَ حسنة، والمُذيعُ بالسّيّئةِ مخذول، والمُستَتِرُ بالسّيّئةِ مغفورٌ له.[٤]

١٨ ـ المَرَضُ لِلمُؤمِنِ تَطهيرٌ ورَحمة، ولِلكافِرِ تَعذِيبٌ ولَعنة، وإنّ المَرَضَ لا يَزالُ بالمُؤمِنِ حتّىٰ لا يَكُونَ عَلَيه ذَنبٌ.[٥]

١٩ ـ عليكم بسِلاحِ الأنبياءِ، فقيل: و ما سلاحُ الأنبياء؟ قالَ: الدعاء.[٦]

٢٠ ـ شَهرُ رَمَضانَ شَهرُ البَرَكة، وشَهرُ الرَّحمة، وشَهر المَغفِرَة، وشَهرُ التّوبة، وشَهرُ الإنابة، مَن لَم يُغفَرْ لَهُ في شَهرِ رَمَضان فَفي أيِّ شَهرٍ يُغفَرُ لَهُ؟![٧]

٢١ ـ الحَسَناتُ في شَهْرِ رَمَضانَ مَقبُولَةٌ، والسَّيِّئاتُ فِيهِ مَغفُورَةٌ،

---

١. *إثبات الوصيّة*: ٢٣٨.
٢. *الكافي* ٢: ٧٢.
٣. *عيون أخبار الرضا*عليه السلام ٢: ١٨٠.
٤. *ثواب الأعمال*: ٢١٣.
٥. *بحار الأنوار* ٧٨: ١٨٣.
٦. *الكافي* ٢: ٤٦٨.
٧. *بحار الأنوار* ٩٦: ٣٤١.

مَن قَرَأَ في شَهرِ رَمَضانَ آيَةً مِن كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كانَ كَمَن خَتَم القُرآنَ في غَيرِهِ مِن الشُّهُورِ، ومَن ضَحِكَ فِيهِ في وَجهِ أخيهِ المُؤمنِ لَم يَلْقَهُ يومَ القِيامةِ إلّا ضَحِكَ في وَجهِهِ وبَشَّرَهُ بِالجَنَّةِ.[١]

٢٢ ـ إنّ رَجُلاً سألَ أبا عبدِ اللهِعليه السلام: ما بالُ القرآنِ لا يَزدادُ عَلى النَّشرِ والدَّرسِ إلّا غَضاضَةً؟ فقالَ: إنَّ اللهَ تَبارَكَ و تعالىٰ لَم يَجعَلْهُ لِزَمانٍ دُونَ زَمانٍ و لِناسٍ دونَ ناسٍ، فهُو في كلِّ زَمانٍ جَديدٌ و عِندَ كلِّ قَومٍ غَضٌّ إلىٰ يَوم القِيامَةِ.[٢]

٢٣ ـ عِلَّةُ الحَجِّ الوِفادَةُ إلَى اللهِ تَعالى و طَلَبُ الزيادَةِ والخُروجُ مِن كُلِّ مَا اقتَرَفَ، ولِيَكونَ تائباً ممّا مَضىٰ مُستَأنِفاً لِما يَستَقبِلُ، وما فِيهِ مِنِ استِخراجِ الأموالِ وتَعَبِ الأبدانِ وحَظْرِها عَنِ الشهواتِ واللَّذات.[٣]

٢٤ ـ ألا إنَّ الفَقيهَ مَن أفاضَ عَلَى النّاسِ خَيرَهُ، وأنقَذَهُم مِن أعدائِهِم، و وَفَّرَ عَليهِم نِعَمَ جِنانِ اللهِ، وحَصَّلَ لَهُم رِضوانَ اللهِ تعالىٰ.[٤]

٢٥ ـ قالَ المأمُونُ لِلرِّضاعليه السلام: أُخْطُبِ النّاسَ وَتَكَلَّمْ فِيهم، فَحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه وقالَ: «لَنا عَلَيكُم حَقٌّ بِرَسُولِ اللهِصلى الله عليه وآله ولَكُم عَلَينا حَقٌّ بِهِ، فَإذا أنتُم أدَّيتُم إلَينا ذٰلِكَ وَجَبَ عَلينا الحقُّ لَكُم».[٥]

٢٦ ـ يا ابنَ ابي مَحمود، إذا أخَذَ النـاسُ يَميناً و شِمالاً فالزَمْ طريقَتَنا؛ فإنّهُ مَن لَزِمَنا لَزِمناهُ، ومَن فارَقَنا فارَقْناهُ.[٦]

---

١. ***بحار الأنوار*** ٩٦: ٣٤١.
٢. نفسه ٢: ٢٨٠.
٣. ***عيون أخبار الرضا***عليه السلام ٢: ٩٠.
٤. ***بحار الأنوار*** ٢: ٥.
٥. نفسه ٤٩: ١٤٦.
٦. ***عيون أخبار الرضا***عليه السلام ١: ٣٠٤.

٢٧ ـ مَن سَرَّهُ أن يَنظُرَ إلى اللهِ بغيرِ حِجابٍ ويَنظُرَ اللهُ إلَيهِ بغيرِ حجابٍ فليَتولَّ آلَ محمّدٍ عليهم السلام وليَتبرّأ مِن عَدوِّهِم، وليأتَمَّ بإمامِ المؤمنينَ منهم، فإنَّهُ إذا كانَ يومُ القيامةِ نَظَرَ اللهُ إليهِ بغيرِ حجاب، ونَظَرَ إلى اللهِ بغيرِ حجاب.[١]

٢٨ ـ مَن واصَلَ لنا قاطعاً، أو قطَعَ لنا واصلاً، أو مدَحَ لنا عايباً وأكرَمَ لنا مُخالفاً، فليس منّا و لسنا منه.[٢]

٢٩ ـ عن الحسن بن جهم.. قلت: جُعِلتُ فداك، أشتَهي أن أعلَمَ كيف أنا عندك. قال: انظُرْ كيف أنا عندك.[٣]

٣٠ ـ مَن جَلَس مَجلِساً يُحيا فيه أمرُنا لَم يَمُت قَلبُهُ يَومَ تَموتُ القلوب.[٤]

٣١ ـ مَن طَلَبَ الرِّئاسَةَ لِنفسِه هَلَكَ؛ فإنَّ الرِّئاسَةَ لا تَصلُحُ إلّا لأهلِها.[٥]

٣٢ ـ يا ٱبنَ شَبيبٍ، إنْ سَرَّكَ أنْ تَكُونَ مَعَنا فِي الدِّرَجاتِ العُلىٰ مِن الجِنانِ فَاحزَنْ لِحُزِننا وَافرَحْ لِفَرَحِنا، وَعَلَيكَ بِولاَيتنا.[٦]

٣٣ ـ و ما مِنّا إلّا مقتُول، وإنّي وَاللهِ لَمقتُولٌ بالسَّمِّ باغتيالِ مَن يَغتالُني.[٧]

٣٤ ـ إنّي سَأُقتَلُ بِالسّمِّ مَظلوماً، فَمَن زارَني عارِفاً بِحَقّي.. غَفَرَ اللهُ

---

١. ***المحاسن*** ٦٠.

٢. ***صفات الشيعة*** ٤٩.

٣. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ٢: ٤٩.

٤. ***بحار الأنوار*** ١: ١٩٩.

٥. نفسه ٧٣: ١٥٤.

٦. ***الوسائل*** ١٤: ٥٠٣.

٧. ***بحار الأنوار*** ٤٩: ٢٨٥.

ما تَقدّمَ مِن ذَنبِهِ و ما تَأَخَّرَ.[1]

٣٥ ـ إنّ لكلِّ إمامٍ عهـداً في عُنُقِ أوليائِه وشيعتِه، وإنّ مـن تـمامِ الوفـاءِ بالعهـدِ و حُسنِ الأداءِ زيـارةَ قبورِهـم، فمَن زارَهُـم رغبـةً في زيارتهم وتصديقـاً بما رَغِبوا فيه، كانَ أئمّتُهم شفعـاءهم يومَ القيامة.[2]

٣٦ ـ مَن لم يَقدرْ علىٰ صِلَتِنا فليَصِلْ صالحي مَوالينا يُكتَبْ له ثوابُ صِلتِنا. و مَن لم يَقدرْ علىٰ زيارتِنا فليَزُرْ صالحي مَواليـنا يُكـتَبْ له ثوابُ زيارتِنا.[3]

٣٧ ـ قالَ: يا سَعدُ، عِندَكُم لَنا قَبرٌ. قُلتُ: جُعِلتُ فِداكَ، قَبرُ فاطِمَةَ بِنتِ مُوسىٰ عليهما السلام؟ قالَ: نَعم، مَن زارَها عارفاً بِحَقِّها فَلَهُ الجَنَّة.[4]

٣٨ ـ مَن عامَلَ النّاسَ فَلَم يَظلِمْهُم وحَدَّثَهُم فَلَم يَكذِبْهُم، ووعَدَهُم فَلَم يَخلِفْهُم، فَهو مِمَّن كَمُلَت مُرُوَّتُهُ وظَهَرَت عدالَتُهُ.[5]

٣٩ ـ يا عَبْدَ العَظيم، أبْلِغْ عَنّي أوليـائي السَّـلامَ، وَقُـلْ لَـهُم أنْ لا يَجعَلوا لِلشيطانِ علىٰ أنفُسِهِم سبيلاً، ومُرْهُم بِـالصِّدْقِ فـي الحـديثِ وأداءِ الأمانَةِ، ومُرْهُم بِالسُّكوتِ، وتَركِ الجِدالِ فيما لا يعنيهِم، وإقبالِ بَعضِهِم عَلىٰ بَعضٍ والمُزاوَرةِ، فإنَّ ذٰلِكَ قُرْبَةٌ إلَيَّ، ولا يُشغِلوا أنفُسَهُم بِتَمزيقِ بَعضِهِم بَعضاً...[6]

٤٠ ـ عَجِبتُ لِمَن يَشتَري العبيدَ بمالِه فيُعتِقُهُم، كيف لا يشـتري

---

١. *الوسائل* ١٠: ٤٣٨.
٢. *الكافي* ٤: ٥٦٧، ح ٢.
٣. *كامل الزيارات* ٣١٩.
٤. *بحار الأنوار* ١٠٢: ٢٦٥.
٥. *عيون أخبار الرضا* ٢: ٣٠.
٦. *بحار الأنوار* ٧٤: ٢٣٠.

الأحرارَ بحُسْنِ خُلُقِه![1]

٤١ ـ قال عليّ بن شُعَيبٍ: دَخَلتُ على أبي الحَسَنِ الرِّضاعليه‌السلام فقالَ لِي: يا عليُّ، مَن أحسَنُ الناسِ مَعاشاً؟ قلتُ: أنتَ يا سيِّدي أعلَمُ به مِنّي. فقالَ: يا عليّ، مَن حَسُنَ مَعاشُ غَيرِه في مَعاشِه.[2]

٤٢ ـ مَن فَرَّجَ عن مُؤمنٍ فَرَّجَ اللهُ عن قَلبِهِ يَومَ القِيامة.[3]

٤٣ ـ عن صفوان بن يحيىٰ، عن أبي الحسن الرضاعليه‌السلام، قال: دخلَ عليه مَولىً له فقال له: هل أنفَقتَ اليومَ شيئاً؟ قال: لا والله. فقال أبو الحسنعليه‌السلام: فمِن أين يُخلِفُ اللهُ علينا؟! أنفِقْ ولو دِرهَماً واحداً.[4]

٤٤ ـ سادةُ الناسِ في الدنيا الأسخياء، وسادةُ الناسِ في الآخرةِ الأتقياء.[5]

٤٥ ـ يكون الرجلُ يَصِل رَحِمَه، فيكونُ قد بَقِي مِن عُمرِهِ ثلاثُ سنينَ فيُصيِّرُها اللهُ ثلاثينَ سنة، ويفعلُ اللهُ مايشاء.[6]

٤٦ ـ مَن لَم يَشكُرِ المُنعِمَ مِنَ المَخلُوقِينَ لَم يَشكُرِ اللهَ عَزَّ وجَلَّ.[7]

٤٧ ـ صِلْ رَحِمَكَ ولَو بِشُربَةٍ مِن ماءٍ، وأفضَلُ ما يُوصَلُ بِهِ الرَّحِمُ كَفُّ الأذىٰ عنها.[8]

٤٨ ـ ما التقَتْ فِئتانِ قطُّ إلّا نُصِرَ أعظَمُهما عَفواً.[9]

---

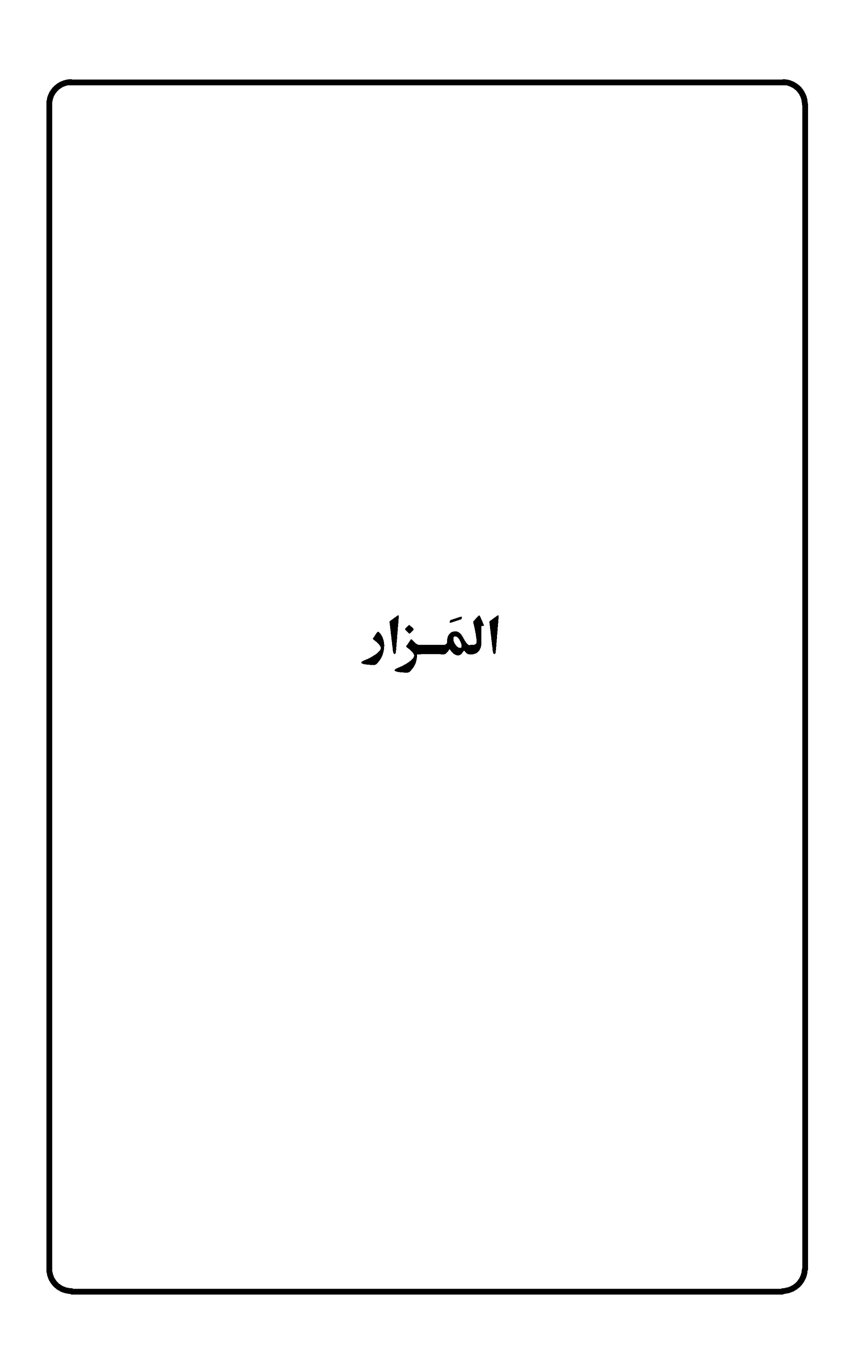
١. **فقه الرضا**عليه‌السلام ٣٥٤.
٢. **تحف العقول** ٤٤٨.
٣. **الكافي** ٢: ٢٠٠.
٤. نفسه ٣: ٤٤.
٥. **صحيفة الرضا**عليه‌السلام ٨٦.
٦. **الكافي** ٢: ١٥٠.
٧. **عيون أخبار الرضا**عليه‌السلام ٢: ٢٤.
٨. **بحار الأنوار** ٧٨: ٣٣٨.
٩. **تحف العقول** ٥٢٤.

٤٩ ـ لا عَيشَ أهنَأُ مِنْ حُسنِ الْخُلقِ، وَلا مالَ أنفَعُ مِنَ الْقُنُوعِ، وَلا جَهلَ أضَرُّ مِنَ العُجبِ.[١]

٥٠ ـ مَن حاسَبَ نفسَه رَبِح، و مَن غَفَلَ عنها خَسِر.[٢]

---

١. **بحار الأنوار** ٧٨: ٣٤٨. ٢. نفسه ٧٨: ٣٥٥.



المَـزار

في ظـلال الإمامـة

الإمام الرضـاعليه‌السلام بيّـن للناس كلمة الفصل في الإمامـة الإلهيّـة التي اختلف في شأنها المسلمون. دخل عليه عبد العـزيز بـن مسـلم فـي «مَـرْو»، ليحدّثه بما خاض فيه الناس هناك من أمر الإمامة.. فتبسّم صلوات الله عليه و قال فيما قال:

«يا عبدالعزيـز، جَهِل القوم و خُدِعوا عن أديانهم... إنّ الله تبارك وتعالى لم يَقبِض نبيّـهصلى‌الله‌عليه‌وآله حتّى أكمل له الدين... وأمرُ الإمـامة مـن تمام الدين... فمَن زعم أنّ الله لم يُكمل دينـه فقد رَدّ كتاب الله عزَّ وجلّ...

هــل يــعرفون قَـدْرَ الإمـامة و مـحلّها مـن الأمّـة، فـيجوز فـيها اختيارُهم؟! إنّ الإمامـة أجَلُّ قدراً، و أعظَمُ شأناً، و أعلى مكاناً، وأمنَعُ جانباً، وأبعَدُ غَوراً من أن ينالها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يُقيموا إماماً باختيارهم...

الإمام كالشمـس الطالعة المُجَلِّلـة بنورها للعالـم، و هي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي و الأبصار.

الإمام البدر المنير، و السراج الزاهر، و النور الساطع، و النجم الهادي في غياهب الدجىٰ...

الإمام الماء العَذْب على الظَّما، والدالّ على الهدى، و المنجي من الردىٰ...

الإمام السحاب الماطر، و الغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظَّليلة، و الأرض البسيطة، و العين الغزيرة، و الغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، و الوالد الشفيق، و الأخ الشقيق، و الأمّ البَرّة بالولد الصغير...

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد صلّى الله عليه وآله ؟!...

والإمام عالِم لايَجهَل، وراعٍ لايَنكل. مَعدِن القُدس والطهارة، والنُّسك والعبادة. مخصوص بدعوة الرسول، و نسل المطَهّرة البتول...

نامي العلم، كامل الحِلم، مُضطَلِع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزّ وجلّ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله و يُؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرَهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان، في قوله تعالى: ﴿**اَفَمَنْ يَهْدِىٓ اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لَا يَهِدِّىٓ اِلَّآ اَنْ يُهْدىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ ؟!...[1]

---

[1]. ***الكافي*** ١: ١٩٨ ـ ٢٠٣ / ح ١؛ ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام ١: ٢١٦ ـ ٢٢١.

قبل دخول المـزار

في البدء كانت النقطة، و كانت مركز دَفق نوريّ لا يتوقّف.

هذه حكاية التربة القـدسيّة التي اخـتارها الله تـبارك و تـعالى لتلامس الجسد الملكوتيّ الأقـدس لفـلذة رسـول الله المـصطفى ﷺ وحبيب قلبه، سيّدنا و مولانا أبي الحسن الرضا عـليه أنـمى التـحيّة والسلام.. يوم تَشَرَّفَت به هذه الأرض القصيّة شهيداً مظلوماً غـريباً أحبَّ وأنوَرَ مايكون الشهداء الصدّيقون من أئمّة آل محمّد صلوات الله عليه و عليهم أجمعين.

من حينها اتّخذت هذه البقعة ـ في ظاهر تاريخ الأرض ـ مـعنىً خاصّاً كلّه هداية ونور، و كلّه أمـل و مـعرفة و يـقين، و كـلّه حبّ ومودّة و عشق صاعد بالإنسان إلى محضر الله عزّ وجلّ.

و الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هم الأدلّاء على الله و السبيل الأوحد إليه؛ فما كمعرفتهم لله سبحانه معرفة، و لا كعلمهم بالطريق إليـه علم، و لا كرحمتهم و رأفـتهم بـخلق الله رحـمة و رأفـة، و لا مـثل حنانهم عليهم ومحبّتهم لهم من حنان ... و هم الذين لا يُقاس بهم من

الناس أحد.

و هم في حياتهم الزمنيّة على الأرض هـم أنـفسهم فـي حـياتهم الملكوتيّة الخارجة عن قيود الزمان و المكان: هداية بصيرة، و شفقة دائمة، و دعوة مستمرّة للصعود بالبشريّة إلى الله تعالى و العودة إليه من جديد.. في سفر معنويّ نفيس هو من وجود الإنسان الهدف، ومن كينونة ابن آدم على الأرض الغاية.

و هو ذا أبو الحسن الرضا صلوات الله عليه.. ما يفتأ يلوّح و يدعو ويجذب القلوب لُتقبِل عليه، فيأخذها بحنانه إلى آفـاق المـلكوت، مُطهِّراً إيّاها من الضعف والانكفاء، و منقذاً لها من الإخلاد إلى أرض الظلام. إنّه إمام البشريّة كلّ البشريّة، و قائدها جميعاً إلى الله.. كما هو شأن آبائه وأبنائه من آل محمّد الطاهرين المطهّرين.

و مزاره ـ و هو الإمام الحيّ بولايته المطلقة لله و لاستشهاده في الله، ولغيرهما من المعاني الجليلة ـ كان و مـا يـزال و سـيظلّ قِـبلةً للأفئدة المشتاقة إلى الله، و ملاذاً للأرواح الوالهة التي تـنشد ـ فـي رحاب أولياء الله ـ الأمان و السكينة والاطمئنان.

إنّ تربته الزاكية .. هي نـفسها تـربته: أزُرنـاها أرضـاً فـضاءً، أم زُرناها منصوبةً عليها هـذه المـباني النـورانـيّة السـامية مـن قِـباب ومنارات و أروقة وصحون. و نحن إنّما نزور ـ فـي زيـارتنا مـرقده الطاهر ـ المعنى الرضويّ الواسع العظيم، و نُقبِل بكلّنا على ما يموج به وجوده المقدّس من الأسرار الإلهيّة التـي لا تـنقضي؛ لنـعود إليـه ذائبين فيه.. كما تعود القطرة إلى المحيط وتَفنى فيه إلى الأبد، حيث

حياة السلام الشـامل و الطـمأنينة البـاقية و النـعيم الذي لا يـزول: ﴿يَآ أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ. ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي. وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾.. و حيث ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

و قد أحسّ الناس ـ عبر مراحل تاريخ المزار المتعاقبة ـ بشيء من هذا المعنى الرضويّ الحاضر الغنيّ في بقعة طوس، و لمسوا منه ما يـدلّهم عـلى حـقيقة «الإنسـانيّة» و نـزاهـة «الوجـدان» و مَـراقـي «التوحيد»، و عَهِدوا من بركاته ما يـفرّج عـنهم ظـلمات الكـروب، ويفتح مغالق أعسر المعضلات.. فإذا هم يُقبِلون عليه والهـين، و إذا هم يؤمّون مزاره الحـبيب الرابـض مـناراً كـونيّاً مـتألّقاً بـين جـبلَي طوس.

و بـدأوا ـ جـيلاً بـعد جـيل ـ يشـيّدون مـن حـوله مـن المـباني والغُرُفات ما يلبّي حاجاتهم في زيارته.. لكأنّهم طـيور يُـضنيها فـي صحراء الدنيا الرحيل، فتتلمّس لديه الأمن و الأمان والراحة والعشّ الحاني الرحيم.

وكانت قرية «سَنا آباد» الصغيرة تتحوّل مع الأيّام إلى مدينة كبيرة شاخصة يتعالى في نقطة القلب منها هذا المزار الرضـويّ المـبارك الرفّاف بالخيرات و البركات و الهدايات الربّانيّة السخيّة.. حتّى آلَ المزار الكريم إلى ما نلقاه اليوم من سعة في الرقعة، و من تعدّد في المعالم، و من روعة في العمارة و تفنّن في البناء، ليكون صدراً حانياً يضمّ ـ بشفقةِ الأب الرؤوف ـ ملايين زائريه الذين يؤمّونه من كلّ فجّ من فجاج الأرض عميق.

إنّه بيت كرم الرضا سلام الله عليه، الذي يفتح ذراعيه مبسوطتين للاستقبال. وإنّه بيت رأفة الرضا الذي يحتضن خلق الله من شتّى الأقطار والأصقاع، على تنوّعٍ منهم مذهل: في اللغة، و العِرق، والطبقة، والمذهب، و البلاد.. و على تعدّد منهم وفير في الحاجة وما تنبض به في دواخلهم دقّاتُ القلوب.

هو ذا إذَن المزار الرضويّ الكبير بسعته و جماله و حنانه الذي ما له من نظير. و إنّه لَحَقٌّ بيتُ سلطان القلوب، بقدرته القادرة وبرأفته الغامرة للقريب و البعيد. تُرىٰ.. أيّ سلطنة إعجازيّة متفرّدة هذه التي تجمع بين القدرة و الرأفة في وحدة واحدة لا تنفكّ، وتَظهر عظمةً جليلة تتداخل فيها الشفقة والمحبّة والسخاء الواهب المستديم بشكل لا يقبل التجزئة والانفصال؟!

و لا غَرو، فهذه السلطنة الرضويّة الفخمة الشفيقة هي مظهر لسلطان الله العزيز الرحيم، و مَجلى لقهّاريّته ورأفته بالعباد.

إنّه رضا آل محمّد ﷺ.. نبعة محمّد و عليّ و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. و تلك إرادة الله عزّ وجلّ يوم اجتباهم و طهّرهم وجعلهم أحبّاءه الخالصين، وأبوابه القدسيّة المُشرَعة إلى الخلق.. يدخلها الذين يدخلونها فيجدون الله عندها حاضراً سميعاً بصيراً يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، و ما عليهم إلّا أن يستجيبوا له ويؤمنوا به لعلّهم يَرشُدون. و إنّهم لَيرشُدون حقّاً متى أتَوه من أبوابه التي وضعها للخلق، عارفين خاشعين متذلّلين، آمِلين ما عنده، طالبين ما لديه؛ لأنّهم سلكوا الدرب الصحيح، فأتَوا البيوت من أبوابها.. لا

كمَن يهجر الباب أو يضلّ عـنه، فـيحدّث نـفسه أن يـدخل مـتسلّقاً الجدارَ فِعلَ السارقين.

«اللّهم صَلِّ علىٰ عليِّ بنِ موسى الرضا المرتضى الإمامِ التقيِّ النقيِّ، وحُجّتِكَ عَلىٰ مَن فَوقَ الأرضِ ومَن تحتَ الثـرى، الصِّـدِّيقِ الشـهيدِ، صلاةً كثيرةً تامّةً زاكيةً متواصلةً متواترةً مترادفة، كأفضلِ ما صَلّيتَ علىٰ أحد من أوليائك».

موائد الضيافـة الرضويّـة

أيّام الزيارة التي يحظى بها زوّار الإمام الرضا عليه السلام يظلّ لها ـ على امتداد حياتهم ـ أثر عابق عالق بالقلب والروح و الذاكـرة، و تـظلّ تحتفظ بنكهتها الخاصّة المميَّزة محطّةً فريدة مُحبَّبة تناغي القـلب وتتدفّق بالحنين.. جاذبةً صاحبها إلى مُعاوَدة الزيارة حيناً بعد حين؛ فالمرء في رحاب الرضا لا يشبع من لذّة التّطواف التعبّدي، ولا يكفّ عن الإقبال على حضرة الرضا عليه السلام بشوق غامر يستعصي على التحليل والتفسير.

● هنا هذه الروضة البهيّة بمعنويّتها الشفّافة المتصاعدة، و بهذا الضريح الفيّاض بالأنوار و بالأسرار نقطةً مركزيّة تهوي إليها القلوب، و تتوافد عليها الأماني و الآمال، فيحسب المرء أنّه من غير لحم ودم، و أنّه بدأ يخفّ و يسمو ويدنو من عالَمٍ آخـرَ كـلّه سـعادة و بـهجة وعطاء.

● و هنا هذه القبّة المـتعالية نـوراً ذهـبيّاً يـتوحّد فـيه الجـمال والجلال، فترفّ الروح حائمةً هائمة في أشواق قدسيّة تبدّل مضمون

الإنسان من الداخل.

● و هذه المنارات الرفيعة المضيئة الهادية.. لَكأنّها تحمل معها الأرواح في رحلة عروج ملكوتيّ لا أسعد منه و لا أرغد.

● والأروقة الرفيعة بجلالها و معنويّتها.. هي ذي أجواؤها الشفّافة تغمر الزائرين بحالات خاصّة من الصفاء والرواء والامتلاء، في نهاراتها المشرقة البيضاء، و في ليالي التعبّد والدعاء.

● وهنا «مَشرَبة الماء» هذه المُسبَلة عند دخول الصحن للزائرين.. يَرتَوون منها عذباً بارداً، فيذكرون عطش كربلاء، ويسلّمون من قلوبهم على شهيد الله المظلوم الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

● و هذه «نافذة المُراد» المُطلّة من فضاء الصحن العتيق على أنوار الضريح المضمّخ بعطر المسك الملكوتيّ.. يلوذ بالله أمامها الألوف من عباد الله المضطرّين المكروبين؛ طلباً لكشف الضرّ و تفريج الهمّ وشفاء ما عجزت وسائل الدنيا عنه من أدواء و أمراض، فيفوز منهم بآماله من يفوز، و ينهض سالماً مُعافى وسط زغاريد الفرح و انطلاق الحناجر و القلوب بالصلاة على محمّد و آل محمّد.. في مشهدٍ نادر تمتزج فيه الفرحة بالشوق والشكر و الامتنان. و إنّه لَمنظر مدهش إذ ترى وجوه الزائرين ترتسم عليها ـ بلا اختيار من أصحابها ـ الفرحة و الدهشة، والبسمة و الدموع.

● و هذا صوت «النقّارة» في الصحن العتيق أيضاً.. يرتفع قُبيل طلوع الشمس و قبيل الغروب، ليسري إيقاعُه المَهيب المُحبَّب إلى ما

حوله من الأماكن و الصحون، فتنجذب إليه الأسماع و ترنو صوب مصدره العيون، وتجرى الصَّبايا والصِّبيان مَرِحين و قد امتلأت نفوسهم بالأمن و اللذّة العميقة والإحساس بالجمال.

● و يرتفع صوت الأذان في أوقات الصلاة، فيهيمن في المكان خشوع خاصّ تنبعث معه قلوب الحاضرين لتلبية النداء، و ليقفوا بين يَدَي الله تبارك و تعالى للصلاة في شفّافيّة و خفّة روح. إنّ الحرم الرضويّ يبدو حينها ـ كما هو في واقعه دائماً ـ محراب تعبّد كبير مُفعَم بعطرٍ مذهل.. لكأنّه ليس من عطر الأرض.

● و هذه أيضاً حمائم الحرم.. تحلّق مُفرِدةً أجنحتَها بين القبّة والمنارات، أو تتّخذ مَهابط لها على الشُّرُفات، أو تَحُطّ على الأرض تلقط الحَبّ بين آلاف الزائرين في أمنٍ غريب. و هي ربّما تحكي حكاية أرواح الزوّار الوَلْهى التي تُحلّق حيناً في فضاء رضويّ رحيب، أو تستريح حيناً على أرض المزار مستأنسة بهذا الهناء الذي فازت به في مشهد مولاها عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

إنّ كلّ شيء هنا ينطق، وكلّ شيء بِسرٍّ يبوح. المأدُبَة مفتوحة أبداً، والمَوائد مَلأى من كلّ الأصناف، و الضيافة ضيافة رضا الله الكريم.

هذا الضـريح المُشرَب بنور الملكوت

الضريح الذي نشاهده في وسط الروضة اليوم هو خامس أضرحة الحرم الرضويّ التي عُرفت في مدوّنات التاريخ. كان الضريح الأوّل ـ وهو خشبيّ مُلبَّس بصفائح الذهب والفضّة ـ قد صُنع سنة ٩٥٧ هـ، وظلّ في موضعه إلى سنة ١٣١١ هـ. ثمّ تعاقبت ثلاثة أضرحة أخرى قبل أن يقام في الروضة هذا الضريح الخامس سنة ١٤٢١ هـ، عـلى أرضيّة رخاميّة خضراء.. ليتجلّى متناسقاً بـإتقان مـع مـعالم عـمارة الروضـة الزاهـرة، بـفنّها وألوانـها وتشكـيلاتها المـعماريّة العـريقة المتميّزة، و بما فيها من أقواس و مقرنصات و رقوش و خطوط فذّة مُعبِّرة.

صُنع هذا الضريح الرباعيّ القوائم والأركـان ذو السـقف المُسـنَّم قليلاً، بطول ٤/٧٨ أمتار، و عرض ٣/٧٣. و هو يعلو في داخل فضاء الروضة بارتفاع ٣/٩٦ أمتار. ووزنه ١٢ طنّاً من الموادّ الداخلة في تكوينه.

و هو ـ من الوجهة التعبيريّة ـ من أجَـلّ الأعـمال الفـنيّة، و مـن

أوفرها دقّةً و جمالاً و ذوقاً و أصالة فنيّة إيمانيّة، و من أجلاها في تناسق التكوين.. فأنت لا تقف أمامه ـ و هو مركزُ معنويّة باهرة مقدّسة ـ بوصفه عملاً فنيّاً يستلهم التراث، بل تُقبل عليه بوصفه مظهراً فنيّاً جماليّاً مقيماً في الحاضر، و ذاهباً بك إلى المستقبل.

إنّ الظواهر الفنيّة في الضريح الرضويّ ليست بمعزل عن الرؤية المعرفيّة بجمالها وجلالها المذهلَين التي تحملك على قراءة النظام الخفيّ الذي يحرّك مسار عناصره. والخلاصة المركّزة لِما تلقاه في صنعة الضريح من عناصر تشكيليّة وزخرفيّة أنّها تؤول في حركتها المستمرّة إلى الانتهاء بالوحدة و بحقيقة التوحيد الذي هو اتّجاه إلى الإله الأحد الذي لا أوّل له ولا آخر.

يتبدّى في هذا الضريح ـ فيما يتبدّى من عناصره ـ (١٤) محراباً رائعاً في هيئته و في إبداعه، و يتداخل بعضها في بعض تداخلاً أصيلاً لا يقبل التجزئة و الانفصال، ليكون مظهراً للوحدة التي تنتظم الكثرة. وهذه المحاريب اختير عددها بعدد المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم، تعبيراً عن وحدة نورهم القدسيّ. و ترتبط عقود المحاريب من فوق بقوسِ محرابٍ أصليّ كبير يحتضنها على نحوٍ مفعم بالمعاني الروحيّة والدلالات الاعتقاديّة التعبّدية. و ينتهي القوس العُلوي لهذا المحراب بأقدس لفظة في الوجود تعبّر عن أقدس معنىً فيه، هي اسم «الله» الجامع لكلّ حقائق الأسماء الحسنى في جمالها و جلالها و كمالها الذي لا يعرف الحدود.

ويعلو الضريحَ تاجان ذهبيّان، في الأعلى منهما كُتبت بخطٍّ رائعٍ

الجَودة سورة «يس»، و في الآخر سورة «الإنسان» أو «الدهر». و فوق التاجين كلمة «الله» الذهبيّة تدور متكررة إلى ما لانهاية مع الضريح.

و تُميّز العينُ في لَألاء الضريح كتيباتٍ فنيّة قيّمة كُتبت عليها أسماء الله الحسنى، و اسم أشرف خلق الله المصطفى «محمّد»صلّى الله عليه وآله، وأسماء الأئمّة الاثني عشر من أهل بيته الطاهرين. إنّ كلّ كتيبة من هذه الكتيبات هي في الواقع آية من آيات الإبداع في فنّ الخطّ.. بحيث يشعر المرء ـ و هو واقف أمام الضريح ـ أنّه يدنو من مداخل الغيب المقدّس، و يوشك أن تجذبه آفاق مطلقة إلى ما وراء حدود الزمان و أبعاد المكان.

أمّا ما في الضريح الشريف من الزخارف النباتيّة (التوريقيّة والزَّهريّة) فإنّها صُمِّمَت ليكون المحور في إبداع هيئتها العددان (٥) و (٨). و لاخفاء أنّ العدد (٥) يشير إلى الخمسة أصحاب الكساء المطهَّرين بآية التطهير المباركة، و هم: محمّد و عليّ و فاطمة والحسن و الحسينعليهم السلام. في حين يشير العدد (٨) إلى الإمام الرضا ثامن أئمّة أهل البيتعليهم السلام.

و من ضمن هذه الزخارف.. تتجلّى زهرة «دوّار الشمس» بأتساعها وانبساطها المتميّز.. التي يتداعى إلى الذهن منها معنى «شمس الشموس» لقباً للإمام أبي الحسن الرضاعليه السلام.

ولعلّ الهدف العميق الكامن وراء هذه الهندسة الزخرفيّة بشتّى عناصرها هو الانتقالة بنا من الصورة المرئيّة التي تقرأها عين البصر، إلى المغزى الروحيّ الحيّ الكائن وراء الحسّ والذي تتملّاه عين

البصيرة. و هذا المغزى المعرفيّ الإيمانيّ المصيريّ يعني أنّ الإقبال على أهل البيت عليهم السلام و الانقطاع إليهم إنّما هو توجّه إلى الله عزّ وجلّ من أبوابه التي مَنّ بها على الخلق و أمرهم بالدخول منها إليه.. كما تنطق بذلك نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة: «مَن أرادَ اللهَ بدأ بكم،... و مَن قَصَدَه تَوَجّه بكم».

و أخيراً.. فإنّ هذا الضريح المبارك الذي استغرق تصميمه وتنفيذه حوالي سبع سنين، إنّما هو من تصميم الفنّان الشهير الأستاذ محمود فرشچيان، الذي صبّ فيه من خبراته و ذوقه و جهده و رؤاه ما جعله ناطقاً ـ لطفاً من صاحب المزار ـ بالجمال و الجلال والمعنى والفنّ المتّسم بالبقاء.

وقفة

العيون المشدودة بأمل إلى ضريح الحضرة الزاهرة، والقلوب المجذوبة ـ بشغف وشوق ـ إليه.. إنّما تقصد مَعقَد الآمال، و تتطلّع إلى شبّاك الفرج والفرح الروحي الذي لا يوصف.

إنّه الضريح المقدس الذي تشرّف أن يكون رمزاً لمركز النور في هذه الروضة الطاهرة. و تتطلّع إليه الأبصار والأفئدة لعلّها تبصر ما يستكنّ هناك وراء غلاف المادّة، و تشهد ما يموج من وراء حجاب عالَم الأرض من معنىً رضويّ كبير. إنّه إذَن استشفاف لعالَم أرفع ولنور أسطع يتلألأ دائماً من غيب عالم الملكوت. إنّه هنا.. هذا العالم القدسيّ غير بعيد، لا يحتاج منّا إلى سفر جغرافيّ، ولا إلى قطع المسافات في الفضاء. إنّه نوع من السفر المعنويّ في الداخل، في

القلب، في شفّافيّة الروح، و في التخفّف من أثقال المادّة و من كثافة النفس.

و ما أروعه مِن عالَم هذا الذي يتجلّى فيه ـ بابتسامته الوضيئة المُحْيِيَة ـ أبو الحسن الرِّضا إمام الرأفة و الحنان. إنّ الفوز برؤياه ـ صلوات الله عليه ـ والحُظوة بلُقياه لَأغلى هديّة يلقاها المؤمن في زيارته و في حياته. أمّا إذا تجاوز المؤمن ـ في رؤيته الرضا عليه السلام ـ بصرَ القلب، و استقرّ المعنى الرضويّ الكبير في قلبه مقيماً فيه، فتلك هِبة لا أعلى منها ولا أغلى. عندئذ نرى مولانا الرضا قريباً منّا دائماً، حاضراً معنا أبداً.. مَسكنُه في القلب والروح والوجدان، تجلّياً لمعنى ﴿**إِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ**﴾، و ظهوراً لحقيقة ﴿**وَهُوَ مَعَكُم اَيْنَما كُنتُم**﴾.

إنّه متى أصبح قلب العبد رضويّاً قد حلّ فيه الرضا صلوات الله وسلامه عليه.. كان الرضا معه حيثما حلّ، و كان معه أينما انتقل، لا يفارقه في ليل أو نهار. تُرى ما أسعد مَن يكون حُجّةُ الله الهادي رفيقَه الأبديّ، و ما أوفر حظّ مَن يغدو الإمام الصدّيق الضامن صاحبَه وأنيسه الملازم وأباه.

الضريح الذي نزوره نزور به صاحب الضريح، و جدران الحرم التي نقبّلها إنّما نقبّل بها صاحب الحرم. و عند الأبواب التي ننحني إكباراً وخشوعاً و محبّة عند دخولها إنّما تنحني عندها قاماتُ قلوبنا وأجسادنا أمام هيبة الرضا و أمام إشراقات جماله القدسيّ الأخّاذ.

و من دخل بيت عليّ الرضا سلام الله عليه فقد دخل الحرم الآمن، ودخل «الأرض المقدّسة» التي كتب الله.. متخلّياً ـ قبل أن يدخل ـ عن

كلّ الهواجس و المخاوف و الظنون، و خالعاً ـ قبل الباب ـ أسمال الشكّ والتردّد واليأس، ليرتدي رداء الإيمان الثابت و اليقين، و ليتقلّد ـ بافتخار عظيم ـ قلادة العبوديّة لله الواحد الأحد في محضر الإمام الذي هو ـ و آباؤه وأبناؤه الأطهار ـ مظهر العبد الأعزّ الأكمل والحبيب الأقرب الأمثل لله عزّ وجلّ من بين كلّ مَن خلق الله.

و فودُ على الجواد الكريم هو وفودُنا على شمس الشموس وأنيس النفوس. زادُنا في و فودنا عليه حبّ له وشوق إليه.. يتصاغر عنده ما نجمع من عمل و ما ندّخر من خيرات؛ فهنا مائدة عطاء سخيّة من موائد الربّ، وضيافة هِبات شهيّة ما لها من حدود:

وفدتُ على الكريم بغيرِ زادٍ ... مِن الحسناتِ و القلبِ السليمِ
و حَملُ الزادِ أقبَحُ كلِّ شيءٍ ... إذا كان الوفودُ على الكريمِ

وقفة ثانية

هو ذا أنت ـ يا أخي ـ واقف قبال الضريح.. تتملّاه بعين قلبك.

إنّه أمامك.. لكنّك تحسّ كأنّما هو في الأعالي، مرتفعاً عن الأرض، متألّقاً وراء غشاوة المحسوسات، منتمياً إلى الأبديّة.

إنّه لَيشفّ ويَشفّ.. حتّى يغدو ـ في رؤيتك ـ قطعة من عالم الملكوت. وأنت معه تشفّ و تتخفّف من طينك و من خدر طبيعتك، و ما يظلّ إلّا هذا الذي يوقفك أمامه و يَعقِد قلبَك به من شعور خاص: فيه القداسة، و فيه المحبّة والخشوع، و رغبة التوحّد به و الفناء فيه.

أنت الآن في لحظاتٍ نفيسة قدّيسة.. هي حقيقة الزمن في عمرك،

و هي التي تُدنيك مـن ربّك و تُـدنيك، و تـقرّر لقـلبك وإنسـانيّتك المصير.

تدمع العين، و ينطق القلب ببوحٍ هامس و حوار سرّيّ.. فإذا أنت تسلّم، و يـردّ «الرضـا» عـليك السلام، و إذا أنت تـحدّث الحـبيب ويـحدّثك، و تسـأله فـيجيبك، و تـؤمّله فـيُكرِمك، بـاسطاً ذراعَـيه الرحيمتين لاحتصانك.. فهل تُلقي بنفسك ـ دونما وجل أو خوف ـ في نعومة أحضان الحبيب؟! إنْ فعلتَ تحرّرت إذَن من غربة العالَم ووحشـة مـزالق الأرض؛ لأنّك أوَيتَ بـصدق و عـمق إلى «غـريب الغرباء» العـاصم لهـم مـن أمـواج الطـوفان، و الضـامن لهـم النـجاة والأمان.. ففتح لك أبوابه الكريمة مُشرَعة، وأدخل قلبك فـي بـيته، فإذا قلبك عنده ينظر إليه و يتفقّده كلّ وقت وكلّ آن. تُـرىٰ.. كـيف سيكون القلب الذي ينظر إليه رضا الله برأفته و حنانه كلّ لحظة وكلّ حين؟!

تحسّ عندئذ أنّ العالَم كلّه في الضريح، و أنّ الضريح واسع واسع.. بحجم العالم، و أكبر من العالم.

عليك إذَن يا أخي أن تنسىٰ ـ إذا أتيتَ الرضا ـ أحاديث نـفسك.. لتتعرّف ـ كما يعرّفك هو ـ على ما في محضر «الرضا» من نور المعنى المنقذ المُقرِّب الحبيب.

عند الباب تخلع عنك هموم نفسك و خطرات عقلك، ثمّ تُسلِم قلبك و روحك لسلطان الرأفة و الحنان، فتحظىٰ ـ و أنت في الدنيا ـ بما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.

إنّه الرضا صلوات الله عليه.. فلذة محمّد و عليّ و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. و كفاك ـ يا أخي ـ أن تنتمي إلى نـبعة أحبّاء الله وأصفيائه، مؤتمّاً به في الصغير من شأنك والكبير.

القبّـة و المنـارات

تلوح القبّة الرضويّة متعاليةً برّاقة كـالشمس، مـتلألئة فـي قـلب الحرم القدسيّ. و هي أوّل ما يشدّ أنظار القادمين برّاً وجوّاً إلى مدينة مشهد، فتخطف بمعنويّتها الفيّاضة الأبصار و تأخذ بمجامع القلوب، فتنطلق شفاه الزائرين بالتحيّة والسلام على الإمام الغريب الرؤوف أبي الحسن الرضاعليه السلام في هذه الأرض البعيدة النائية.

و منذ القرن السادس الهجريّ أقيمت قبّة على هذا المزار، وجرى ترميمها أكثر من مرّة، ثمّ ذُهِّبت سنة ٩٣٢ هـ. و بعدئذ أُعيد بناؤها وتذهيبها بين سنتَي ١٠٠٩ و ١٠١٦ هـ، و هي التي نشاهدها اليوم.

و يشاهد الزائرون من داخل الروضة قـبّة أخـرى مـرتفعة فـوق الضريح المقدّس هي آية في الفنّ و الجمال، و منخفضة بالقياس إلى القبّة الذهبيّة.

والواقع أنّ القبّة الرضويّة قبّتان بينهما في العلوّ مسافة خالية تبلغ أكثر من عشرة أمتار. إحدى القبّتين هي هذه الداخليّة التي تُرى فوق الضـريح الطـاهر، و هـي قـديمة عـريقة يـعود تشـييدها إلى القـرن

الخامس الهجريّ، وتمتاز بهذا الجمال المحيِّر المتجلّي بنوافذها ومقرنصاتها و ألوانها التي هي في غاية الحسن و الفنّ الزخرفيّ الفريد. و الأخرى هي القبّة الخارجيّة الباسقة التي يبلغ ارتفاعها من أرضيّة الحرم أكثر من ٣١ متراً، و عليها كتيبة في نطاق لازورديّ رائع الخطّ، و يبلغ محيطها الخارجي أكثر من ٤٢ متراً.

إنّ هذه الثنائيّة بين القبّتين هي في الواقع ثنائيّة توحيديّة، فيها هذا الظاهر الخارجيّ الجليّ، و فيها هذا الباطن الداخليّ المُكتنِز بالأنوار والأسرار. و في هذا رمز رضويّ خاصّ؛ فإنّ مَن يقصد الرضا صلوات الله عليه ـ قبل أن يدخل في بيته ـ تلوح له هذه القبّة الذهبيّة الخالصة اللامعة الجذّابة التي تومئ لرائيها من بعيد أن: «تَعالْ»، داعيةً إلى الدخول من باب الله تبارك و تعالى إليه. و من يدخل بيت الرضا يرى من داخله جمالاً آخر و يَلقى تجلّياً أروع وأسطع، فمن يرنو إليه من الداخل يجده الأقرب الأجمل الأبهج الأعذب، فيفوز من الرضا سلام الله عليه بما لا يخطر على قلب. و عطاؤه أبداً كلّه خير ومحبّة وحنان، لكنّ له عطاءً خاصّاً يفوز به من شاء الله تعالى أن يفوزوا به.. وتلك أمنية الأماني و أبعد الآمال.

* * *

و في الحرم الرضويّ الأنور منارات.. شاهقة ذاهبة في السماء. أعرَقُها منارتان ذهبيّتان، إحداهما ـ و هي تنتمي في بنائها إلى القرن السادس الهجريّ ـ مجاورة للقبّة السامية، وتقف الأخرى في قبالها في صحن الثورة (الصحن العتيق) فوق إيوان كبير هناك.

و الواقع أنّ مسافة مديدة تفصل على الأرض بين المنارتين، بَيْد أنّ القادم إلى الحرم من جنوبه ـ خاصّة مـن شـارع الإمـام الرضـا عليه السلام ـ يتراءى له أنّ القبّة في وسط المنارتين اللتين تحفّان بها من الجانبين، لتشير الصورة متكاملةً إلى معنىً خاصّ ربّما لم يكن قد دار في خَلَد المعمار القديم، لكنّ يد الغيب كانت توجّه طراز فكـره إلى مـعنىً مكنون يتبيّنه الرائي للمشهد من بعيد.

إذا كانت القبّة الممتلئة مكتنزة بالمعاني الرضويّة مـن المـعرفة والعلم واليقين والجود والسخاء و العطف واللطف و البهجة الغامرة التـي يُـراد للـزائـرين أن يـرتشفوا مـن مَـعينها الزلال.. فـإنّ هـاتين المنارتين الذهبيّتين الطويلتين الحافّتين بالقبّة الكبيرة إنّما تنتصبان ناهضتين كالسيفَين! إنّهما مظهر لحماية الرضا سلام الله عليه لضيوفه الداخلين بيته الواردين حرمه الآمـن. و بـهذا تـتكامل الصـورة فـي جمالها و جلالها، و في هنائها وأمنها الحاضر العتيد. إنّها إذَن مائدة ضيافة محروسة بحراسة غيبيّة، و حراسة كريمة لموائد السخاء.

ثمّ قامت منارتا مسجد گوهرشاد الداخل في ضمن منظومة مباني الحرم، و قام بُرجا الساعة (و هما شبه منارتين) الواقفَين في بوّابتَي صحن الثورة و صحن الحريّة.

و فـي ربـع القـرن الأخـير أُقـيمت مـنارات أخـرى خـلال عـهد الجمهوريّة الإسلاميّة: اثنتان ذهبيّتان في صحن الجمهوريّة، و ستّ منارات في الصحن الرضويّ الجامع شاهقة الارتفاع بـعلوّ ٥٧ مـتراً لكـلّ مـن هـذه المـنارات الستّ، ليـنتهي مـجموع مـنارات الحـرم

الرضويّ ـ القديمة منها و الجديدة ـ إلى (١٤) منارة نور.. هي بعدد المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين.

أروقـة المـزار

الأروقة مواضع في الحضرة الرضويّة الطاهرة، هي أبنية مسقوفة محيطة بالمرقد الطاهر، متباينة في مساحاتها و ارتفاعاتها بسـبب استحداثها في أزمنة متعدّدة خلال الأجيال، بـما تـقتضيه الحـاجة والإمكانات. و تضمّ مجموعة مباني الحضرة اليوم ٢٧ رواقاً، منها ما هو قديم، و منها ما هو حديث الإنشاء.

و الأروقة أماكن دفيئة مغمورة بالمعنويّة و معطّرة بجوّ ملكوتيّ أخّاذ، يتّخذها زائرو الإمام الرضا عليه السلام للخلوة و تلاوة القرآن الكريم و الصلاة والمناجاة و الدعاء:

١. دار الحُفّاظ

هذا الرواق الذي شُيِّد في القرن التاسع الهجريّ يُخبِر اسمُه أنّـه الموضع الذي تقام فيه مراسيم تلاوة القـرآن و تُـقرأ خـطبة حـفّاظ العتبة المقدّسة.

موقع الرواق جنوب الحرم متوسّطاً بينه و بين مسجد گُوهَرشاد.

يتّصل من ضلعه الغربي برواق دار السيادة الكبير، ويتاخم ضلعه الشرقيّ رواق دار السلام، كما يتّصل جنوباً بمسجد گُوهَرشاد. ويتشرّف الوافدون بزيارة الإمامعليه السلام من بابه الكائن في جهته الشماليّة. و مقدار مساحة هذا الرواق ٢١٧ متراً مربّعاً.

٢. دار السيادة

من أقدم الأروقة بعد رواق دار الحفّاظ، و من أكبر قُداماها بعد رواق دار الولاية و دار الهداية و دار الرحمة. و هو من مباني الحرم التي أُنشئت في القرن التاسع. موقعه غربيّ الحرم موازياً لمسجد جهة الرأس و لرواق دار الحفّاظ شمالاً إلى جنوب. و من هذا الرواق يتراءى الضريح المقدّس، فيُقبِل المؤمنون على الزيارة و الدعاء. مساحة هذا الرواق ٣٧٣ متراً مربّعاً.

٣. قبّة «حاتم خاني»

يرجع تاريخ بناء هذا الرواق إلى القرن الحادي عشر الهجريّ. ينفتح ضلعه الغربيّ ـ عبر باب ذهبيّ ـ نحو جهة الأقدام في الروضة الطاهرة، و هو موضع خاصّ بالنساء.

و في زاويته الشماليّة الغربيّة ممرّ يتّصل بقبّة «الله وِرْدي خان» عبر منعطف هناك، و يتّصل من جنوبه ـ عبر بوّابة ـ برواق دار السلام، و يرتبط شرقاً برواق دار السعادة. و مساحته ١١٥ من الأمتار المربّعة.

٤. دار السعادة

هذا الرواق من أروقة شرقيّ الحرم الطاهر، بين الإيوان الذهبيّ في صحن الحريّة ورواق حاتم خاني عند أقدام الإمام عليه السلام، وينتمي بناؤه إلى القرن الهجريّ الثالث عشر.

يفضي من ضلعه الجنوبيّ إلى الباب الذهبيّ و رواق دار السرور، ويرتبط شرقاً بالإيوان الذهبيّ في صحن الحريّة، و يتّصل غرباً برواق حاتم خاني. و للصُّفّة الشماليّة لدار السعادة ممرّان صغيران يرتبطان برواقَي «الله وِردي خان» و دار الضيافة. و هو خاصّ بالنساء أيضاً. ومجموع مساحته ١٦٢ متراً مربّعاً.

٥. دار الفيض

في عام ١٣٨٨ هـ تمّ تشييد هذا الرواق الفخم في شماليّ المرقد المقدّس. و ينفتح رواق دار الفيض من جهته الجنوبيّة على الروضة المنوّرة. و في زاويته الشماليّة الشرقيّة ممرّ صغير يفضي إلى «قبّة الله وِردي خان»، و يتّصل شمالاً و غرباً برواقَي «توحيد خانه» و دار الشكر. وهو مخصَّص لزيارة النساء، و تبلغ مساحته ١١٢ متراً مربّعاً.

٦. توحيد خانه (دار التوحيد)

موقع هذا الرواق شماليّ الحرم المبارك بين دار الفيض و صحن الثورة (الصحن العتيق)، و هو متّصل شرقاً برواق «الله وِردي خان»، ومنفتح من جهته الغربيّة علي الإيوان الذهبيّ في صحن الثورة. و في

ضلعه الشماليّ شبّاك فلزّي دقيق الصنع يربط بينه و بين صحن الثورة، هو المعروف بـ «شبّاك الفولاذ».. حيث يتوجّه الزائرون عبره من الصحن لزيارة الإمام والتوسّل به لقضاء الحاجات و كشف الكربات، إذ تلوح من خلاله أنوار الضريح الشريف. و رواق «توحيد خانه» مخصَّص أيضاً للنساء، ومساحته ١٠٨ من الأمتار المربّعة.

٧. دار السلام

من أقدم أروقة الحرم الرضويّ الطاهر، إذ يعود بناؤه إلى العهد التيموريّ، و قد تولّت أمر إقامته گوهرشاد خاتون في الربع الأوّل من القرن التاسع الهجريّ.

موقع هذا الرواق شرقيّ الحرم، متّصلاً برواق دار الحفّاظ غرباً، وموازياً له. و بينه و بين دار العزّة ثلاث غرف، ويُفتح منه باب ذهبيّ إلى رواق دار السرور، و تتّصل الصُفّة الشماليّة لدارالسلام بـ «قبّة حاتم خاني» بوساطة باب واحد. مساحة هذا الرواق ٢٧٧ متراً مربّعاً.

٨. دار العزّة

يقع هذا الرواق بين رواقَي دار السلام و دار الذكّر في جنوب شرقيّ الروضة المقدّسة. ينفتح على دار السلام عبر بوّابة كائنة في شماله. و في جنوبه باب يؤدّي إلى مقصورة مسجد گوهرشاد. ويتّصل شرقاً بثلاثة أبواب تنفتح على دار الذكر. أمّا من جنوبه فيتّصل برواق دار السلام. مساحته ٧٣ متراً مربّعاً.

٩. دار السـرور

و هو من الأروقة الكائنة في جـنوب شـرقيّ الحـرم الطـاهر إلى الغرب مـن صـحن الحـريّة، بـين رواقَـي دار السـعادة و دار الذكـر. ولضلعه الشماليّ باب يتّصل بدار السعادة. و تقوم في ضلعه الجنوبيّ ثلاثة أبواب خشبيّة تـوصل إلى دار الذكـر، و له أيـضاً بـاب يـنتهي برواق دار السعادة. وفي أقصى جانبه الغربيّ باب ذهبيّ رائع الجمال يفضي إلى دار السلام. و هذا الرواق من المسالك الرئيسيّة لدخـول زوّار الرضا صلوات اللّٰه عليه إلى داخل الروضة المنوّرة. مساحة هذا الرواق ١٠٠ متر مربّع.

١٠. دار الذِّكـر

في الجنوب الشرقيّ من الحرم يقوم رواق دار الذكر غربيّ صحن الحريّة. و له اتّصال برواق دار العزّة عبر ثلاث بوّابـات فـي ضـلعه الغربيّ. وهو يتصّل بدار السرور بثلاث بوّابات أيضاً كائنة في ضلعه الشماليّ. وفي جنوبه باب ينفتح على دار الزهد، و له باب في جنوبه الشرقيّ ينتهي بسالكه إلى صحن الحريّة.

و فـي جـوانب هـذا الرواق غـرفة مـدير الخـدم، و مكـتب للمنذورات وآخر للخفارة. مجموع مسـاحة دار الذكـر ٢١٦ مـتراً مربّعاً.

١١. دار الزهـد

من أقصى الأروقة عن الروضة، واقعاً إلى الجنوب الشرقيّ منها شماليّ رواق الإمام الخمينيّ. و هذا الرواق الفخم يتّصل بدار الذكر عبر ممرّ هناك، و يرتبط بمقبرة الشيخ البهائيّ من خلال ثلاث بوّابات في ضلعه الشرقيّ، ويفضي إلى رواق الإمام الخمينيّ بأربع بوّابات في ضلعه الجنوبيّ. و ثمّة أربع بوّابات أخرى تصل ضلعه الغربيّ بصالة الاستقبال. مساحة هذا الرواق ٢٨٩ متراً مربّعاً.

١٢. رواق الشيخ البهائيّ

يضمّ هذا الرواق في وسطه مرقد الشيخ بهاء الدين العامليّ (البهائيّ)، ومن هنا كان اسمه. و البهائيّ رضوان الله عليه من كبار علماء الإماميّة في القرنين العاشر والحادي عشر، و هو لبنانيّ الأصل من بَعلبكّ (٩٥٣ ـ ١٠٣٠ هـ)، و ينتمي في النسب إلى الحارث الهمدانيّ (اليمنيّ) من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

يقع هذا الرواق جنوب شرقيّ الحرم الشريف، و له ممرّ يصل ضلعه الشماليّ بصحن الحرّية. و في ضلعه الجنوبيّ ثلاثة أبواب تنفتح على رواق الإمام الخمينيّ. و يقوم في شرقه رواق دار العبادة. أمّا في غربه فيقع رواق دار الزهد. مساحة رواق الشيخ البهائيّ ١٠٢ من الأمتار المربّعة.

١٣. دار العبـادة

أُنشئ هذا الرواق في جنوب شرق الحرم سنة ١٣٩٤ هـ، بمساحة ١٥٨ متراً مربّعاً، و سُمّي باسم دار العبادة متّصلاً اليوم برواق الإمام الخمينيّ عبر خمسة أبواب. و في الغرب منه باب يـؤدّي إلى مـزار الشيخ البهائيّ.

١٤. رواق قبّة الله وِرْدي‌خان

هذا الرواق الجميل ذو القبّة الرائعة العمارة من النـماذج الفـنيّة المتميّزة للعهد الصفويّ. يتّصل ـ عن طريق صُفّات سبع (جمع صُفّة) ـ بأروقة توحيد خانه (دار التوحيد) و دار الضيافة و دار السعادة وقبّة حاتم خاني و دار الفيض، كما له اتّصال بصحن الثـورة. مـوقع هـذا الرواق في شمال شرقيّ الحرم الطاهر، بمساحة ١٧١ متراً مربّعاً.

١٥. دار الضيافـة

يقوم هذا الرواق في الزواية الواقعة بين صـحن الثـورة و صـحن الحريّة، يحاذيه غرباً رواق قبّة الله وِردي خان، و جـنوباً رواق دار العبادة. وفي شرقه يقع صحن الحريّة، أمّا من جهة الشمال فيقع صحن الثورة.

أُنشئ رواق دار الضيافة عام ١٣٠١ هـ. و يبدو ـ كما يـلوح مـن تسـميته ـ أنّـه كـان صـالة لاسـتقبال ضـيوف العـتبة الرضـويّة فـي الاحتفالات و في مراسيم العزاء الخاصّة بأهل البيت عليهم السلام. موضع هذا الرواق شمال شرقيّ الحرم الطاهر، و مساحته ١٦٦ متراً مربّعاً.

١٦. دار الشكر

كان هذا الرواق في بداية أمره مبنىً لمكتبة العتبة الرضويّة، ثمّ غدا داراً للقرآن الكريم قبل سنة ١٣٨٣ هـ. يتّصل جنوباً برواق جهة الرأس المقدّس، وينفتح شرقاً و غرباً على رواقَي دار الفيض و دار الشرف. أمّا من جهته الشماليّة فيرتبط بصحن الثورة و رواق «توحيد خانه» عبر ممرّين يفضى أحدهما إلى الإيوان الذهبيّ في صحن الثورة، و ينتهي الآخر برواق «توحيد خانه» بوساطة دهليز ضيّق.

يقع رواق دار الشكر في شمال غربيّ الروضة المقدّسة، و تبلغ مساحته ٧٣ من الأمتار المربّعة.

١٧. دار الشرف

في عام ١٣٨٤ هـ أصبح هذا الموضع رواقاً مستقلّاً يلقاه الزائرون في شمال غربيّ الروضة الرضويّة المقدّسة. و موقعه بين رواق دار الشكر شرقاً و رواق دار السيادة جنوباً ـ حيث ينفتح على هذا الرواق بشبّاك فضّيّ ـ ورواق دار الولاية غرباً. و يتّصل أيضاً بالإيوان الذهبيّ في صحن الثورة (الصحن العتيق). و هو ذو مساحة تبلغ ١٤٠ متراً مربّعاً.

١٨. دار الإخلاص

يفصل هذا الرواق عن رواق دار الولاية شبّاك فضيّ جميل، و هو يتّصل برواق جهة الرأس و بجزء من رواق دار السيادة الذي يحجزه

عن سائر الرواق جدار رخاميّ منخفض. مساحة هذا الرواق الصغير ٣٦ متراً مربّعاً.

١٩. رواق جهة الرأس المقدّس

أُقيم هذا الرواق لتكون حركة الزوّار في مسيرهم بهذا الموضع ذات اتّجاه واحد؛ تيسيراً لمرورهم بين أروقة دار السيادة و دار الشرف و دار الولاية في الحضرة الرضوية الشريفة. و في هذا الرواق شبّاك مطلّ على داخل الروضة يضع فيه الزوّار منذوراتهم.

والواقع أنّ استحداث هذا الرواق إنّما هو توسعة لمسجد جهة الرأس العريق القِدم الذي يمتدّ لعشرة قرون مضت. سعة رواق جهة الرأس تربو على خمسمئة متر مربّع.

٢٠. دار الولايـة

استُحدث هذا الرواق الواقع شمال غربيّ الحرم الطاهر سنة ١٤١٠ هـ بمساحة مقدارها ١٩٦٥ متراً مربّعاً، ليستوعب أعداداً كبيرة من الزائرين الذين يكتظّ بهم حرم الرضا صلوات الله عليه على مدار السنة، لاسيّما في الصيف و في مواسم الزيارات الخاصّة.

و لهذا الرواق مزيّة في كثرة سبل اتّصاله بعدّة أجزاء من الحرم؛ فهو يتّصل بصحن الثورة و بجزء من مأمن الشيخ الطوسيّ شمالاً، ويرتبط بأروقة دار السيادة و دار الشرف و دار الإخلاص شرقاً، وبمدرسة البابَين و مدرسة پَريزاد جنوباً. أمّا من جهة الغرب فيتّصل رواق دار الولاية بصحن الجمهوريّة. و هو مخصّص للعائلات.

٢١. دار الحكمة

يقع هذا الرواق الحديث الإنشاء بين صحن الحريّة و صحن الثورة، وقدجرى افتتاحه سنة ١٤٢٤ هـ. و هو يتكوّن من طابقين، الأرضيّ منهما يرتاده الزوّار، وفوقه طابق آخر مخصّص لتفكيك المنذورات وتصنيفها.

مساحة الطابق الأرضيّ ٧٥٦ متراً مربّعاً، و هو مزدان بالرخام و زخارف المرايا و النقوش الكلسيّة الملوّنة.

٢٢. دار الإجابة

في العمق تحت دار الولاية يقوم رواق دار الإجابة الذي افتُتح بعد اكتمال بنائه سنة ١٤٢١ هـ. موقعه غربيّ الروضة المنوّرة، يتاخمه من الجنوب مدرستا «البابَين» و «پَريزاد»، و يحاذيه صحن الثورة من جهة الشمال. أمّا من الشرق فإنّه ملاصق لمنطقة المرقد الأنور.

و هذا الرواق ـ نظير رواق دار الحجّة ـ من أقرب الأروقة إلى موضع المضجع المقدّس، و هو نظير سائر الأروقة في جمال فنّه المعماريّ بما يحوي من مقرنصات و زخارف المرايا و سواهما. ويتّصل ـ عن طريق بوّابة خاصّة ـ برواق دار الزهد. و يتّسع ـ بمساحته البالغة ١٩٦٥ متراً مربّعاً ـ لأكثر من أربعة آلاف زائر.

٢٣. دار الهدايـة

تمّ افتتاح هـذا الرواق سـنة ١٤١٢ هـ، ويـتضمّن عشـرة أبـواب. موضعه جنوب غربيّ الحرم الطـاهر مـتوسّطاً بـين مـدرسة البـابَين وصحن الجمهوريّة. و مزدانة جدرانه و سقفه بالرخـام و زخـارف المرايا و النقوش الكلسيّة ذات الألوان الرائعة.

٢٤. دار الرحمـة

فـي جـنوب غـربيّ الحـرم بـين مـأمن الشـيخ البـهائيّ و صـحن الجمهوريّة وامتداد رواق دار الهداية يلقى الزوّار هذا الرواق الذي افتُتح عام ١٤١٢ هـ، ويتألّف من طابقين بمساحة ٨٣١ متراً مربّعاً. و من المعالم الجماليّة في هذا الرواق ما يبدو في زخارفه من نقوش ذات ألوان زاهية، و لوحة مرسومة تمثّل واقعة عـاشوراء و أسـماء الخمسة الطاهرين من أهل الكساء عليهم السلام.

يُوصَل إلى رواق دار الرحمة المُعدّ لأغراض ثقافيّة و تعليميّة من صحن الجمهوريّة و من مأمن الشيخ البهائيّ.

٢٥. رواق الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه

هذا الرواق المجاور لمسجد گوهرشاد كان في أوّل أمـره صـحناً عُرف باسم صحن الإمام الخمينيّ، ثمّ اقتضى تزايد أعداد الزائرين كلّ عام تحويل الصحن إلى رواق مسقوف مجموع مساحته المبنيّة ٢٢ ألف متر مربّع في طابقين. يشكّل مبنى الرواق ٧٦٠٠ متر مربّع، و ما بقي منها جناح مسقوف و فضاء جانبيّ.

بُني هذا الرواق بأقلّ عدد من الأعمدة الحاملة للسقف، و بأسلوب معماريّ لا يحجب عن أعين الزائرين مرأى القبّة المقدّسة. بدأ العمل المعماريّ بهذا الرواق سنة ١٤٢٣ هـ، و تمّ إنجازه و فتحه لاستقبال الزوّار سنة ١٤٢٨ هـ.

٢٦. دار الكرامة

موقع هذا الرواق هو بين صحن الثورة و مأمن الشيخ الحرّ العامليّ جنب الجامعة الرضويّة للعلوم الإسلاميّة، و يُتوصَّل إليه من صحن الثورة و رواق دار الحجّة. مساحته ٤٨٨ متراً مربّعاً، و مساحته المبنيّة ١٨٣٠ متراً مربّعاً، ويستوعب ٢٥٨٣ زائراً.

٢٧. دار الحجّة

رواق فخم ذو جمال متميّز استُحدث مؤخّراً تحت صحن الثورة (الصحن العتيق)، و يُدخَل إليه من مداخل متعدّدة كائنة في صحن الثورة نفسه، و تحت «قبة الله وِردي خان» و مأمن الشيخ الطوسيّ ومأمن الحرّ العامليّ، و فيه شبّاك فولاذيّ قريب من موضع القبر المقدّس يتوجّه إليه الزائرون بالزيارة والدعاء.

مساحة رواق دار الحجّة ٦٧٩٩ متراً مربّعاً، ويمتاز بزخارفه من المرايا والنقوش و الرسوم ذات الألوان الرائعة.

صحــون الحضــرة المنــوّرة

الصحن باحة واسعة بين أروقة الحرم و مبانيه المسقوفة، وهـي أوّل ما يستقبل الزائرين عادةً عند اجتيازهم مداخل الحرم و بوّاباته، و يضمّ الحرم اليوم عشرة من هذه الصحون:

١. صحــن الثورة (الصحــن العتيق)

أقدم الصحون بناءً في الحضرة الرضويّة، يرجع تأريخ إقامته إلى أواخر القرن التاسع الهجريّ، و موقعه شماليّ الروضة المنوّرة و هي قِبلتُه.

يضمّ هذا الصحن أقدم إيوان ذهبيّ، وفيه نافذة الفـولاذ الشـهيرة التي تطلّ على الروضة. و هذه النافذة مأوى الضارعين إلى الله تعالى لاستجابة الدعاء، و كشف الكروب. و طالما شهد هذا الموضع شفاء المرضى و الظفر بالحاجات في لحظات كرامات إعجازيّة هي هبة من وليّ الله الإمام الرضا عليه السلام.

و تتوسّط الصحنَ مَشرَبة الماء الذائعة الصيت التي تُعرَف بـاسم

بـانيها، فـتسمّى «سَـقّاخانه اسـماعيل طـلائي». و تـمتاز بـأضلاعها الثمانية ـ تيمّناً بالإمام الثامن عليه السلام ـ و بقّبتها الذهبيّة. و هذه المشربة أوّل تضييف الإمام لزائريه الداخلين من الصـحن العـتيق، إذ يُسـقَون فيها الماء الزلال.

تبلغ مساحة هذا الصحن ٦٧٦٠ متراً مربّعاً، و يقوم تحته رواق دار الحجّة الحديث الإنشاء.

٢. صحـن الحريّة (الصحـن الجديـد)

في شرق الروضـة المنوّرة يمتدّ صحن الحريّة المـعروف قـديماً باسم «الصحن الجديد»، و كان قد تمّ تشييده في العهد القاجاريّ.

من جهة هذا الصحن الغربيّة مداخل تفضي إلى داخل الروضـة. وهو متاخم لمأمن الحرّ العامليّ شمالاً، و أروقة دار الضـيافة و دار السعادة ودار السرور غرباً. و في وسطه يشاهد الزائرون حوض ماء كبيراً وعدّة مَشرَبات.. وله ثلاثة مداخل كبيرة. و ترتفع في أضلاع الصحن الأربعة إيوانات واسـعة شـاهقة الارتـفاع، أبـرزها الإيـوان الذهبيّ في الضلع الغربيّ، وإيوان الساعة في الضلع الجنوبيّ. ومساحة هذا الصحن ٤٣٣٥ متراً مربّعاً.

٣. صحـن جامع «گُوهَرشاد»

يقع هذا الصحن الذي ينتمي في تاريخ تشييده إلى العصر التيموريّ (سنة ٨٢١ هـ)، في جنوبيّ الحرم المقدّس بين مأمن الشـيخ البـهائيّ ورواق الإمام الخمينيّ و صحن القدس و رواق دار السعادة، و ينفتح

عليه من جـهته الجـنوبيّة مسـجد گـوهرشاد. مسـاحة هـذا الرواق ٢٨٥٠ متراً مربّعاً.

٤. صحــن القدس

موقع هذا الصحن في شمال الصحن الرضويّ الجامع، متوسّطاً مـا بينه وبين مأمن الشيخ البهائيّ و رواق الإمام الخميني. يُوصَل إليه من الصــحن الرضــويّ الجـامع و مـأمن الشـيخ البـهائيّ و رواق الإمـام الخمينيّ. يضمّ هذا الصحن ٤ إيوانـات و ٤٨ غـرفة، و مَشـرَبة مـاء مُثمّنة الأضلاع. مساحته ٢٥١٠ أمتارٍ مربّعة.

٥. صحــن الجمهوريّة الإسلاميّة

استُحدث هذا الصحن بين مأمن الشـيخ الطـوسيّ و مـأمن الشـيخ البهائيّ. وبوسع الزائرين أن يدخلوا إليه من شـارع الشـيرازيّ. يـقوم هذا الصحن في الجانب الغربيّ من مجموعة الأماكن المـباركة فـي شمال الصحن الرضويّ. مساحته ٧٣٠٢ متر مربّع، و يـضمّ مَشـرَبة للماء و ساعة شمسيّة لتعيين وقت الزوال، و له ٤٦ غـرفة وأربـعة إيوانات و منارتان تعلو كلّ منهما إلى ارتفاع ٣٠ متراً.

٦ . الصحــن الرضــويّ الجامع

أكبر صحون الحضرة الرضوية اتّساعاً، و موقعه في الجهة القِبليّة، و هو المدخل إلى الحرم الطاهر من جهتَي شارع الإمـام الرضـا عليه السلام و شارع خُسرَوي. و له أربع مداخل تفضي بالزائرين إليه، أحدها في

الجانب الشرقيّ، و ثانيها في الجانب الغربيّ، والآخران في جانب الصحن الجنوبيّ، هما: «باب الرضا عليه السلام» و «باب الجواد عليه السلام».

مساحة الفضاء المفتوح للصحن الرضويّ الجامع ٥٦٤٢٩ متراً مربّعاً. وعلى جوانبه المتّصلة بالحرم ٥٥ غرفة مساحتها جميعاً ١٢١٥٣ متراً مربّعاً. و يحتوي الصحن على منارات جديدة شاهقة الارتفاع. و تحت هذا الصحن مرآب السيارات رقم (١) و رقم (٢)، و لهما من الصحن سلالم تنزل إليهما.

٧. صحن الهداية

يقوم هذا الصحن في شمال شرقيّ الحرم المقدّس، ويُتوصَّل إليه من شارع الطبرسيّ و شارع نَوّاب الصفويّ و من المبنى الإداريّ للجامعة الرضويّة. و يتّصل صحن الهداية بمرآب السيارات رقم (٣) في الطابق التحتيّ عن طريق سلّمين كهربائيين. أمّا مساحته فهي ١٥١٤٠ متراً مربّعاً.

٨. صحن الغدير

موقعه في الجهة الغربيّة لمباني الحرم. و يتسنّى لزائري الروضة الطاهرة الدخول إلى صحن الغدير من الصحن الرضويّ الجامع و من صحن الجمهوريّة و من الجُنينة الغربيّة و شارع الشيرازيّ أيضاً. تستوعب مساحة صحن الغدير ٩٠٩٢ متراً مربّعاً.

٩ . صحــن الكوثــر

يقع هذا الصحن في الجهة الجـنوبيّة الشـرقيّة لمـجموعة مـباني الحرم الشريف، و يمكن للـزائـرين الوصـول إليـه مـن شـارع نـوّاب الصفويّ و من الجُنينة الشرقيّة و الصحن الرضويّ الجـامع. مسـاحة هذا الصحن ١٠٢٦٨ من الأمتار المربّعة.

١٠. صحــن الرضـوان

هذا الصحن ما يزال في طور الإنشاء، و مـوقعه ضـمن مـجموعة أبنية الحرم الطاهر، بين شارع الطبرسيّ و شارع الشيرازيّ.

الإيوانات الفارهـة

الإيوان في أصل معناه: موضع في الدار له اتّساع، و محاط بجدران من ثلاث جهات. أمّا جهته الرابعة فهي مفتوحة على باحة الدار.

و في مباني الحرم الرضويّ عدد من الإيوانات الكبيرة العريقة في قِدمها، و عدد آخر حديث البناء استُحدث في ربع القرن الأخير، ممّا يشاهد الزوّار وهم يتنقّلون في صحون الحرم. و تضمّ هذه الإيوانات عادةً أبواباً و مداخل إلى الصحون أو إلى داخل الروضة المنوّرة.

و هي في الواقع مداخل عظيمة في بيت الإمام الرضا عليه السلام الواسع الكبير. و كم هو لائق بالإمام العظيم أن يُدخَل عليه من بابٍ عظيم، فنحن نشعر هنا ـ في حرم الرضا ـ أننا أمام سلطنة واقعيّة أسمى من الظاهر المحسوس.. تحكم و تشاء، و أمام مليك حقيقيّ له سلطان على الأرواح و القلوب، على غير ما نعهد من السلطنات التي يصطنعها الملوك و الأباطرة والأكاسرة، ليُضفُوا على سلطنتهم أبّهة فجّة، و غطرسة خاوية قليلة الأيّام. إنّ كبراء الناس وسلاطينهم

ليأتون الرضا ـ إذا أتَوه ـ خاضعين مطأطِئي الرؤوس، و هم يدركون أنّهم على أعتاب مُلك حقيقيّ و قدرة واقعيّة غالبة؛ لأ نّها من أمر الله عزّ وجلّ. و هـذا مـا تـقرّره ـ بـوضوحٍ واضح ـ عـبارات «الزيـارة الجامعة الكبيرة» التي تحكي طرفاً مـن مـنزلة أهـل البـيتعليهم‌السلام، إذ يعلّمنا الإمام عليّ الهادي سلام الله عـليه فـيها أن نـخاطبهم قـائلين: «آتاكم اللهُ ما لم يُؤتِ أحداً من العالَمين. طأطأ كلُّ شريفٍ لشرفكم، و بَخَعَ كلُّ مُتكبّرٍ لطاعَتِكُم، و خَضَعَ كلُّ جبّارٍ لفضلِكُم، و ذَلَّ كلُّ شيءٍ لكم...».

هنا في محضر الإمام الرضاعليه‌السلام كلّ شيء مـتميّز، و كـلّ شـيء له معنىً و سرّ مكنون. و حتّى هذا الذهب الذي نلقاه في كسوة أجزاء من عمارة الحرم الطاهر إنّما هو لا ليُكنَز في خـزائـن خُـزّان المـال وأخبيتهم، بل ليكون عنصراً من عناصر التجليل و مَعْلَماً مـن مـعالم المودّة التي يؤمّلها الناس لهذه الحضرة الغـنيّة العـظيمة.. و إلّا فـما الذهب ـ في قدره الواقعيّ ـ إلّا نوع من التراب أضفَت عليه نُـدرتُه قيمةً مادّيّة لدى التعامل في سوق الدنيا.

تَفتَخرُ الملوكُ في عروشِها
بأنّها تَلبسُ تِيجانَ الذهبْ
و عند عَتبةِ الرضا
يَدوسُ زوّارُ الرضا على الذهبْ!

و مهما يكن فإنّ أقدم إيوانات العتبة الرضويّة المذهَّب بـعضها:

أربعة إيوانات، تُسمّى بأسامي الجهات الأربع للعالم، و هي:

١. الإيوان الجنوبيّ (إيوان الذهب)

موضع هذا الإيوان شماليّ رواقَي دار الشكر و دار الشرف. و هو ـ من الوجهة المعماريّة و الفنيّة ـ من أبرز ملامح الجمال في مباني الحرم؛ فالسقف و الجدران مسكوّة بصفائح من الذهب، و تقوم فيه أربعة أبواب، تنفتح ثلاثة منها على أروقة دار الشكر و دار الشرف وتوحيدخانه، ويفضي رابعها إلى الطابق العلويّ من مبنى صحن الثورة. و هو ممّا شُيّد في الربع الأخير من القرن التاسع الهجريّ، و يتسامى هذا الإيوان مرتفعاً إلى علوّ ٢١ متراً.

٢. الإيوان الشماليّ (الإيوان العبّاسيّ)

موقعه شماليّ صحن الثورة، و هو متّصل في واجهته الخارجيّة بمأمن الشيخ الطوسيّ، و ترتفع في أعلاه منارة ذهبيّة باسقة. يربو ارتفاع هذا الإيوان على ٢٢ متراً، في حين تعلو منارته ما ينيف على ٤٠ متراً. وإنّما يُسمّى أحياناً بـ «الإيوان العبّاسيّ» لاقتران بنائه الأوّل باسم الملك عبّاس الصفويّ.

٣. الإيوان الغربيّ (إيوان الساعة)

يشاهد الزوّار هذا الإيوان شرقيّ مأمن الشيخ الطوسيّ. و هو إيوان مزدوج: داخلي إلى الصحن، و خارجي يجاور مأمن الشيخ الطوسيّ. وهذان الإيوانان الكبيران تملأ جدرانَهما و سقفَيها النقوش

والفسيفساء الفنية و الآيات القـرآنـيّة المكـتوبة بـخطوط جـميلة، ويتجاوز علوّهما ٢٤ متراً.

و ترتفع فوق هذا الإيوان ساعة كبيرة أُقيمت عليها قـبّة صـغيرة دقيقة العمارة، و هي تُرى من الجهات الأربع. و كانت هذه الساعة ـ هي والساعة الأخرى الماثلة في صحن الحريّة ـ هـما مـرجـع أهـل مشهد في الماضي لتعيين الأوقات، من خلال دقّاتهما عـبر فـواصـل زمنيّة في كلّ ربع ساعة، قبل أن تّتسع هذه المدينة إلى ما هي عليه اليوم.

٤. الإيوان الشرقيّ (إيوان النقّـارة)

موضع هذا الإيوان ـ بفخامته اللافتة للنظر ـ في الجهة الشرقيّة من صحن الثورة. و يتكوّن أيضاً من إيوانين مزدوجين؛ الداخليّ منهما مفتوح على الصحن، و الخارجيّ مُحاذٍ لمأمن الحرّ العامليّ. و يـصل ارتفاع هذا الإيوان الى ٢٦ متراً، و يقوم فوقه برج شهير باسم «برج النقّارة» الممتاز بجمال عمارته و روعة زخارفه الفنيّة.

المَآمِـن والمُعتَصَمات

المَأمَن أو المُعتَصَم موضع خارج الصحن يـبدأ مـنه الدخـول إلى الحرم الطاهر. و هذه المواضع كانت فيما مـضى مـلاجئ يـلوذ بـها الزائــرون والمـجاورون لضـمان أمـنهم و سـلامتهم لدى الحـوادث الطارئة وأخطار الحرب. و قد سُمّيت هذه المآمن الأربعة بـأسماء أربعة من مشاهير العلماء السابقين:

١. مأمن الشيخ الطوسيّ (المأمن العُلويّ)

موضع هذا المأمن فـي شـمال غـربيّ الحـرم بـين مـبنى المكـتبة المركزيّة وصحن الجمهوريّة. و من جهته الشرقيّة والجنوبيّة يدخل الزائرون إلى صحن الثورة (العتيق) و الى صـحن الجـمهوريّة. و مـن جهته الغربيّة يبلغ الزائـرون شـارع الشـيرازي عـلى طـريق مـدخل الشيخ الطوسيّ. و منه كذلك يدخلون إلى المكتبة المركزيّة للـحرم الرضويّ.

٢. مأمن الشيخ الطبرسيّ

يقوم هذا المأمن في شمال شرقيّ الحرم عند الموضع الذي يفصل بين مبنى المكتبة المركزيّة والجامعة الرضـويّة. و هـو يـنفتح عـلى صحن الثورة (العتيق) جنوباً، و على شارع الطبرسيّ شمالاً عن طريق مدخل الشيخ الطبرسيّ.

٣. مأمن الشيخ الحرّ العامليّ (المأمن التحتيّ)

موضعه فـي جـنوب شـرقيّ الحـرم و الجـامعة الرضـويّة. و مـن جهتَيه الغربيّة والجنوبيّة يدخل الزائرون إلى صحن الثورة (العتيق) و صحن الحرّية. و تـرتبط جـهته الشـرقيّة بشـارع نـوّاب الصـفويّ بوساطة مدخل الشيخ الحرّ العامليّ. و في جهته الشماليّة يقوم رواق دار الضيافة ومدخل الجامعة الرضويّة للعلوم الإسلاميّة.

٤. مأمن الشيخ البهائيّ

يقع هذا المأمن في جنوب غربيّ الحرم، إلى الجنوب من رواق دار الولايــة عــند المــوضع الفـاصل بـين صـحن الجـمهوريّة و مسـجد گوهرشاد. وهو مدخل الزائرين إلى صحن القدس و الصحن الرضويّ الجامع و صحن الجمهوريّة و رواق دارالولاية. و في جنبَتيه مدرسة البابَين و مدرسة پَريزاد.

مسجد گوهرشاد

يحظى هذا المسجد الجامع بمعنويّة خاصّة لمجاورته الحرم الرضويّ الشريف. و يمكن أن يُعدّ ـ بسبب هذه المجاورة اللصيقة ـ أحد الصحون الجنوبيّة للحرم؛ إذ يقع بين مأمن الشيخ البهائيّ و صحن القدس و رواق الإمام الخمينيّ رحمه الله. و يتّصل ضلعه الشماليّ برواقَي دار الحفّاظ و دار السيادة اللذين أُقيما في وقت إقامة هذا المسجد.

و يلوح مسجد گوهرشاد ـ بعمارته المتميّزة ـ أفخم مساجد منظومة مباني الحرم الرضويّ، و أجملها بناءً و هندسة زخرفيّة.

يبلغ طوله ٩٥ متراً، و عرضه ٨٤ متراً. و يشتمل على صحن واسع، وعلى أربعة إيوانات كبيرة أشهرها «إيوان المقصورة» الذي يتجاوز علوّه ٤٢ متراً. و فيه سبع مقصورات، و ستّة مداخل. و تنتصب فيأعلاه قبّة فيروزيّة اللون شاهقة الارتفاع، علوّها ٨٧ قدماً وقطرها الداخليّ ١٥ متراً. و تقوم في جانبَي إيوان المقصورة منه منارتان عاليتان يبلغ ارتفاع كلّ منهما ١٤٠ قدماً.

و في هذا الإيوان من المسجد منبر نفيس مصنوع من خشب شجر

الجـوز و شجر الكمّثـرى. و مـن مـعالم الإبـداع فـي صُـنعه أنّـه لم يُستعمل في تركيبه و تماسك أجزائه حتّى مسمار واحد. و هو ـ من الوجهـة الفنيّـة ـ مُطعَّم تطعيماً غاية في الدقّة و التناسق والإتـقان، وله ١٤ مرقاة (درجة)، ويُـعرف بـين النـاس بـاسم «مـنبر صـاحب الزمان عجّل الله فرجه». و كان قد صُنع قبل ثلاثة قرون.

أُقيم مسجد گوهـرشـاد سنة ٨٢١ هـ، بجهود گـوهرشاد خـاتون زوجة «شاه رُخ» نجل الأمير تيمور الگوركاني. و قام ولدها الفنّان الخطّاط «بايسنقر ميرزا» بتصميم زخرفته و كتابة الآيات القرآنـيّة والأسماء الحسنى على جدرانه، فجاء عمله آية في الإبداع الفنيّ.

و لهذا المسجد مكتبة عامة أُلحقت به، أُنشئت سنة ١٣٧٣ هـ. وفي سنة ١٤١٠ هـ انـتقلت إلى مـبناها الجـديد الواقـع فـي الضـلع الغربيّ من مأمن الشيخ البهائيّ. مساحة المكتبة المبنيّة ١٢٠٠ متر مربّع، و هي تحتفظ بأكثر من ٣ آلاف مخطوطة و حوالي ٣٧ ألف كتاب مطبوع.

«نَقّـارة» الحـرم

ينتصب فوق الإيوان الشـرقيّ لصـحن الثـورة بـرج عـظيم بـعلوّه وبجماله الفنّيّ. و البرج قديم في تشييده، ثمّ جُدِّدت عمارته و اكتمل بناؤه بطابقين سنة ١٣٨٧ هـ. و هو المعروف باسم «برج النقّـارة» أو «بيت النقّـارة»، وتزيّنه زخارف غاية في الإبداع و مقرنصات دقيقة رائعة الجمال.

و لفظة «النقّـارة» مأخوذة من «النَّقْـر»، و يراد به هنا: الضــرب بالطبل والنفخ في البوق في وقت واحد. و هي مـن المـراسـيم التـي غدت مألوفة ـ منذ قـرون ـ في العتبة الرضويّة المقدّسة، إذ يُصار إلى الضرب بالطبول (وعددها ٣ دائـماً) و النـفخ فـي الأبـواق (وعـددها الثابت ٤ أبواق) من قِبل سبعة من خدم الحضـرة، فتُصدِر «نقّـارتُهم» إيقاعاً مَهيباً مُحبَّبـاً.. كأنّها تحكي، بلغتها الخاصّة، كلاماً عميقاً يتخلّله جمال خاصّ، فترتسم على وجوه الحاضرين في الصحون لدى سماعه علائم من الفرح المفاجئ الممتزج بالشعور بالهيبة و الجلال. ويأنس الأطفال منهم ـ على نحوٍ ملحوظ ـ بهذا الإيقاع العـميق الذي يشـدّ

القــلوب و الأبـصار و الأسـماع. ولعـلّ مـا تـنطق بـه هـذه النـقّارة المتوارَث إيقاعُها منذ زمن بعيد هو اسم «الرضـا» أو عبارة «المولى الرضـا»، و هذا ما يكاد يتبيّنـه من يسمع صوت النقّـارة إذا أصغى إلى ما تقول[١].

يتعالى صوت النقّارة، مـن بـرجـها المـتعالي، مـرّتين فـي اليـوم، إحداهما قبيل شروق الشمس، و الأخرى قبيل الغروب. ثمّ يـتوقّف الإيقاع الجليل بغتةً إذ تشرق الشمس و إذ تـغيب. و يـنطلق صـوتها أيضاً بشكل خاصّ في أيّام الأعيـاد، وأيّام الاحتفالات الديـنيّة. كـما تُصدر النقّارة طنينها المميَّز كلّما حدثت بين الناس معجزة في هذه البقعة الملكوتيّة، كأنْ يفوز أحد الزائرين المبتهلين إلى الله تعالى في حرم آل محمّد صلى الله عليه وآله هذا بالعافية والشفاء من داء عضال أعيا علاجه الأطبّاء.. و كأنّ النقّارة تنطق عندئذ بالبشرى و بالثناء و الشكر على هذه الهبة السخيّة التي فاضت على الحاضرين.

و يعود التاريخ بهذه النقّارة إلى عدّة قرون خلت. و تؤكّد الوثائق المتوفّرة أنّها كانت معهودة في العتبة الرضويّة خلال القرن التـاسع الهجريّ. و مهما تعدّدت تفاسير وجود النقّارة فـي الحـرم الرضـويّ فممّا لا ريب فيه أنّـها قـد غـدت جـزءً مـن مـراسـيم هـذه البـقعة النورانيّة، بما تبثّه من جمال وجلال، و من نفحات روحيّة مـحَبَّبة مقترنة بمواعيد الصلاة وبالبشائر الكريمة الغامرة.

---

١. من البيّن أنّ النطق الفارسيّ لهاتين الكلمتين هو: «رضا جان» و «مولى رضـا»، و هـما قريبان إلى ما يهتف به إيقاع النقّارة.

المَضيف الرضـويّ

الكرم و البذل والسخاء و حسن الضيافة من سجايا أهـل البـيت الأطهارعليهم السلام. و إطعام الضيوف و أهل الفاقة ـ حبّاً لله و رعايةً لخلقه الذين هم عياله ـ ممّا عُرفوا به على الدوام. و قد امتدحهم الله تبارك و تعالى فيما امتدحهم به ـ وهم صفوته الأبرار ـ بإيثارهم المسكين واليتيم و الأسير على أنفسهم ثلاثة أيّام متواليـة، فـقال فـي سـورة الدهر ﴿**وَ يُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَآءً وَ لَا شُكُورًا**﴾.

و إطـعام الزائـرين ظـاهرة مـألوفة فـي المشـاهد و المـزارات المقدّسة لأهل البيتعليهم السلام منذ أمد بعيد، و منها مزار الإمام الضامن الرؤوف السلطان أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه. و تدلّ الوثائق التاريخيّة أنّ أبنية مزاره القدسيّ كانت تضمّ فيما مضى من الأزمنة جناحاً خاصّاً بالإطعام يقال له: دار الضيافة، أو المَضيف.

و في الحـرم الرضـويّ اليوم مضيف واسع حديث البناء مـوضعه في مأمن الحرّ العـامليّ، يـتألّف مـن ثـلاثة طـوابـق و مـجهّز بـعُدّة

ممتازة.. ليقدّم خدماته فـي اسـتضافة الزائـرين. و أُلحِـق بـه مسـلخ لذباحة الأغنام تشرف عليه دائرة الصحّة. و يعتمد تمويل المضيف وتأمين نفقاته على تطوّع الزائرين ونذورهم بالدرجة الأولى، و على موارد الأوقاف الخاصّة بالإطعام بالدرجة الثانية.

وأبواب المضيف الرضويّ مفتوحة ظهراً و ليلاً على مدار السنة، لتستقبل يوميّاً (٤) آلاف ضيف من شتّى أصناف الناس، و فيهم مـن موظّفي العتبة المقدّسة و خَدَمتها.

و بعد تناول الزوّار الطعام الشهيّ المريء عادةً ما يحمل بعضهم شيئاً من الزاد إلى أهليهم إذا رجعوا إليـهم؛ التـماساً للـتبرّك و طـلباً للاستشفاء بهذا الطعام المقدَّم باسم الإمـام الرضـا عليه السلام. وقـد أعـدّت إدارة المضيف أكياساً صغيرة فيها شيء من الرز والملح لتوزيعها على الزائرين ـ لا سيّما الوافدين من بلدان أخرى ـ ليأخذوها معهم للغاية نفسها.

و يـوزّع المـضيف بـطاقات الدعـوة لتـناول الطـعام عـن طـريق زيارات منظّمة يـقوم بـها عـدد مـن العـاملين فـيه للـفنادق و نُـزُل الزائرين. و في النيّة توسعة المضيف ليستوعب ثلاثة أضعاف الزوّار الذين يستقبلهم في الوقت الحاضر.

مكتبة الحـرم المركزيّـة

للحرم الرضـويّ مكتبة عامّة موغلة في القِدم، فهي تـضمّ ـ فـيما تضمّ من مصاحف موقوفة ـ مصحفاً يرجع تأريخ وقفه إلى سنة ٣٦٣ هـ. ويُفهَم من نصّ مدوّن على جلد أحد كتبها أنّها كانت قائمة فعّالة في سنة ٨٦١ هـ. و قد تزايد ازدهار المكتبة في أواخر القرن الثامن و أوائــل القـرن التـاسع الهـجريّ. و ظـلّت دائـرة خـلال الأحـقاب اللاحقة، متأثّرة أحياناً بما يلمّ بمدينة مشهد مـن حـوادث مـدّاً أو تراجعاً، حتّى وصلت إلى وضعها الحاضر بوصفها من أكبر المكتبات في إيران و في المنطقة.

و قد استُحدث لهذه المكـتبة المـركزيّة مـبنىً واسـع فـخم عـلى الطراز المعماريّ التراثيّ، ليتناسب و انتماءها إلى الحـرم الرضـويّ، وليلائم عراقتهـا التاريخيّة و محتوياتهـا الضخمة النفيسة من الكتب الدوريّات والوثائق التاريخيّة الفريدة.. ممّا يهيّئ مزيداً من الفـرص الثقافيّة والعلميّة لتقديم الخدمات للباحثين و المراجعين. و قد أُقيم مبنى المكتبة الحديث عام ١٤١٤ هـ بمساحة ٢٨٨٠٠ مـتر مـربّع.

وموقعه في شماليّ مأمن الشيخ الطبرسيّ.

و تضمّ المكتبة ذات الأجنحة المتعددة مايربو على نصف مليون كتاب، و تمتاز بوفرة ما فيها من مخطوطات، إذ تبلغ ٧٥ ألفاً ما بين كـتاب و وثـيقة تـاريخيّة، و ٣٩ ألف فـيلم مـصغّر (مـيكروفيلم) لمخطوطات متنوّعة من مكتبات عالميّة. هذا إضافة إلى ما تـحويه المكتبات الفرعيّة لهذه المكتبة المركزيّة، و البالغ عددها أكثر مـن ٣٦ فرعاً في مدينة مشهد و في مدن أخرى.

المتاحف

في المباني التابعة للحرم الرضويّ الشريف مجموعة من المتاحف المتخصّصة، تحتوي على نفائس تاريخيّة متنوّعة و على أشياء تذكاريّة، أهمّها و أقدمها:

● المتحف المركزيّ: يحتفظ هذا المتحف ببعض الآثار الباقية من عمارة الحرم في العصور السابقة، و على هدايا و تحف مُهداة إلى حرم الإمام الرضاعليه‌السلام خلال القرون والأجيال؛ فهو يضمّ اليوم أوّل حجر رخاميّ وُضع على المرقد الطاهر، و يعود تأريخه إلى سنة ٥١٦ هـ، و هو غاية في الفنّ. و يضمّ أيضاً أنواعاً من السجّادات الثمينة والقناديل الذهبيّة والستائر الفاخرة و المطرّزات والأواني واللوحات المذهّبة، إضافة إلى الأقفال الذهبيّة والمنابر التاريخيّة والتصاوير، و ما إليها من النفائس.

و هذا المتحف هو أقدم متاحف مجموعة العتبة الرضويّة، إذ كان إنشاؤه سنة ١٣٦٥ هـ. و موقعه ـ في ضمن مجموعة متاحف الحرم ـ عند الضلع الشرقيّ لرواق الإمام الخمينيّرحمه‌الله في جنوب شرقيّ الحرم

الشريف، و مدخله من صحن الكوثر.

● متحـف القـرآن و النفائـس: افُتتح هذا المتحف سنة ١٤٠٥ ﻫ بمساحة ٨٠٠ متر مربّع، و هو يضمّ اليوم حـوالي ١٢٠ قـطعة مـن النفائس النادرة، وعلى رأسها نسخ ثمينة من المصاحف المخطوطة والمطبوعة، و أهمّها المصاحف التي تُنسَب إلى عدد من أئـمّة أهـل البيت عليهم السلام مكتوبة على جـلد الغـزال، إضـافة إلى مـصاحف أخـرى مرتَّبة في المتحف وفـق التسـلسل الزمـنيّ لكـتابتها. و يـحوي هـذا المتحف أيضاً لوحات فنيّة بـريشة فـنّانين كـبار. ويُـدخَل إلى هـذا المتحف من صحن الكوثر أيضاً.

خدمة الزائرين.. رفاه الزائرين

يتولّى أحد الأقسام الإداريّة للحرم الطاهر العنايةَ بزائري الإمام الرضا عليه السلام من خلال نشاطات عديدة، من مثل: إرشاد الزائرين ودلالتهم على الأماكن التي يقصدونها داخل الحرم، و المحافظة على النظام والهدوء، و تنظيف الأماكن والأبنية الحافّة بالروضة المنوّرة، و تقديم الخدمات الصحَيّة، و معونة أبناء السبيل المقطوعين من الزوّار للعودة إلى مدنهم، و تقديم الطعام في المضيف الرضويّ، والاحتفاظ بالأطفال الضائعين لتسليمهم إلى أهليهم، و توفير الأمن للزائرين، و تولّي أعمال الإضاءة والصيانة، و المحافظة على الأمانات التي يودعها الزائرون عند التشرّف بالزيارة، و مساعدة المرضى والعاجزين من الزوّار للتنقّل في داخل الحرم بالكراسيّ المتحرّكة. إضافة إلى إدارة شؤون الخدم والبوّابين و القيّمين على حفظ أحذية الزوّار.

هذا و يربو عدد من يقومون بهذه الأعمال الخدميّة على ٤ آلاف، يقدّمون خدماتهم على مدار الساعة تطوّعاً دون مقابل ماديّ.

دار الشفـاء الرضويّـة

لمزيد من العناية بزائري الإمام الرضاعليه‌السلام و مزيد من السهر على أمنهم الصحّيّ و سلامتهم البدنيّة، تقدّم دار الشفاء الرضويّة خدماتها الطبيّة ليل نهار. و هي مؤسّسة تابعة لإدارة المؤسسات العلاجيّة في العتبة الرضويّة المقدّسة.

و هذه الدار التي أُنشِئت لهذا الغرض عام ١٤٠٠ هـ هي في الواقع امتداد معاصر ـ و لكنّة متطوّر ـ لنشاطات طبيّة علاجيّة رافقت حركة الزيارة الرضويّة منذ زمن غير قصير، ذلك أنّ الدلائل التاريخيّة تعرّفنا بوجود مشفى «مريض خانه» في ضمن منظومة مباني الحرم إبّان العهد الصفويّ. وكانت دار الشفاء مجاورة في موقعها ـ حتّى سنة ١٢٧٧ هـ ـ لمبنى مسجد گوهرشاد.

موضع دار الشفاء الرضويّة اليوم في بداية شارع الشيرازيّ، على يسار الخارج من الحرم الطاهر. و تُجرى في هذه الدار شتّى المعالجات الطبيّة من مختلف الاختصاصات، بما فيها من فريق من الأطبّاء، و بما تتضمّن من إمكانات للفحوصات السريريّة، والتصوير

الشعاعيّ، و المختبر، والصيدليّة، و قسم خاصّ برعاية الأمومة والطفولة. و يتلقّى العلاج فيها سنوياً ما يربو على نصف مليون مراجع، و يُقدَّم لكثير منهم علاج مجّانيّ.

زيـارة.. للرضـــا عليه السلام

(شعر)

يا نوراً مِن مِشكاةِ اللهِ الكبرى، ياسِرَّ الأسرارِ، و يا نبعَ الحبِّ الأوّلْ
يا شمسَ شموسِ الدِّفءِ الدائم.. تَضحكُ للأزمانِ، و لا تَأفَلْ
وزَها «جَبَلا طوسٍ»؛ فلقد شاءَ اللهُ أن يُنزِلَ فيها النورَ الأكملْ
والبقعةُ في طوسٍ عينُ للهِ الأكبرِ، ترعى الأكوانَ و عن شيءٍ لا تَغفَلْ
ما أحلاها أرضاً فيها الماضي حيٌّ يَحضُرُ، و الحاضرُ يَغذو المستقبلْ
الزمنُ الواحدُ مُمتَدٌّ أزَلاً أبَداً.. حيّاً لا يُفصَلْ
و تَقومُ القبّةُ باسقةً، كالرايةِ يَغرِزُها اللهُ تعالى في عمقِ الأكوانِ.. ولا تَرحَلْ
و مَنارُ للقلبِ الظامئِ.. يُروىٰ نوراً عرشيّاً، و به يُغسَلْ
وقناديلُ الأنوار هدايا من كفِّ المحبوبِ الغامزِ بالوصلِ، سخاءً

تُبـذَلْ

مَن ذا يُفجَـأُ يوماً بالعطـرِ المِسكيِّ يُناغيـهِ، و عن كلِّ الأكوانِ فلا يَذهَـل؟!

مَن ذا لاحَ جمـالُ اللهِ له في عيـنِ المحبـوبِ.. فلا يحيـا إذ يُقتَـلْ؟!

وجَدائلُ شَعـرِ مَليكِ القلبِ تَسبي الدنيـا عشقـاً.. أفـدي الشَّعـرَ المُرسَـلْ!

والشـالُ الأخضـرُ ـ يا لَلـهِ القادِر ـ ما أروعَ هذا الشـالَ المُخمَـلْ!

والبَسمـةُ والثغـرُ القُدسيُّ.. يَحـارُ القلبُ: أتُـرى أيُّـهمـا الأعـذبُ والأجمـلْ؟!

مَن أنتَ؟! أسُلطـانٌ للعشـقِ، بعرشِ جمالِ اللهِ تَنَقَّــلْ؟!

تَسقي في دارِكَ زُوّاراً من حـوضِ الكوثـرِ.. مُنـذُ المَدخَــلْ!

فَيهيمُ الخِضـرُ بعشـقِ الساقـي، إذ ذاقَ الرَّشفَـةَ عند المَنهـلْ

في دارِكَ شبّاكٌ للحاجـاتِ و للآمـالِ، و لمن يبكي و لمن «هَلْهَلْ»[١]

تُعطي جُـوداً أضيافَكَ.. مَن يَسـأْلُ منهـم، أو لا يسـأَلْ

و تُفَتَّـحُ أبوابُ للغيـبِ بيُسـرٍ حُلـوٍ.. لا يبقىٰ عُسرٌ مُقفَـلْ

في دارِكَ دومـاً مائـدةٌ مـلأىٰ بسخـاء الرِّبِ، لِمَن أمَّ المحفـلْ

وهنا غُسـلُ أبـرَدُ من عينِ الماءِ لأيّـوبِ الضُـرِّ، وشِربُ سَلْسَلْ

* * *

يـا أُنسَ نـفوسِ المكـروبيـنَ المكـدوديـنَ، و يـاقُرّةَ عـينِ الثَّكـلىٰ

---

١. هَلْهَل: زَغرَد.

والمُثكَلْ

لم آتِـكَ إدلالاً مـولايَ.. فما عندي لا يَعـدِلُ حَبّـةَ خَـردَلْ

وأنا أحلـىٰ حُلوي في عمـري.. لَأمَـرُّ مَذاقـاً مِن حَنظَـلْ

و بدونِ لقائكَ ـ يا روحـي ـ فقطـاري يُوغِـلُ في ليـلٍ أليَــلْ

وأتَيتُ حِمـاكَ الآمـنَ يا أبتـي، ويقيني أنّي في بابِكَ لن أُخـذَلْ

ألقَيتُ رِحالي في بيتِ الـزهــراءِ، و عن بيتِ الـزهــراءِ ـ بإذن اللهِ

ـ فلن أرحَـلْ

الفهرس

الزيارة (٩٣ - ٥٥)

المَزار (١٥٧ - ٩٥)

٢. الإيـــوان الشـــماليّ (الإيـــوان

٣. الإ يـــــوان الغـــربيّ (إيـــوان

٤. الإ يـــوان الشـــرقيّ (إيـــوان

١. مـــأمن الشـــيخ الطـوسيّ (المـأمن

٣. مأمن الشيخ الحرّ العامليّ (المأمن